مسرحيات شكسبير

جامعة الدول العربية

الإدارة الثقافية



خاب سعي العشاق

ترجمة

دكتور لويس عوض

دار المعارف



مسْرحيَات شكسبير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

خاب سعي العشاق

ترجمة
الدكتور لويس عوض

مراجعة
الأستاذ محمد شفيق غربال
الأستاذ محمد بدران

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناسر . دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهره ج.م.ع.

مقدمة

لم يكن النقاد قديماً يرون فى مسرحية « خاب سعى العشاق » إلا أنها تمثل بداية الفن عند شكسبير . كانت الفكاهة فيها فى نظرهم فجة والفن الدرامى فى أولياته . ولكنهم حديثاً أصبحوا يرون لها قيمة كبيرة من عدة نواح . فهى تدل دلالات لها قيمتها ومغزاها عن بداية فن شكسبير الدرامى ؛ إذ أنها تحمل الكثير مما يدل على أصل هذه النماذج القوية التى تصادفنا فى مسرحياته الكبرى . وفيها من فن رسم الفكاهة وصنعتها ، وفن رسم الشخصيات وإنمائها ، ما هو حقيق بالتأمل والدرس . وهى بعدُ تنقل إلينا صورة مجتمع قديم ما زال له سحره التاريخى . وأخيراً فإن امتزاج العادى بغير العادى فيها يؤلف تركيباً عجيباً له هو أيضاً سحره الذى لا ينكر .

أما تاريخ تأليف المسرحية فإن النقاد يعالجون أمره ، كما يعالجونه فى شتى مسرحيات شكسبير ، من عدة زوايا . فهناك التاريخ المثبت على النسخ القديمة الأولى ، وهناك الأحداث التاريخية التى تشير إليها الأسماء والحوادث المسرحية ؛ وأخيراً هناك الشعر نفسه من حيث فنيته وما يمكن أن تدل عليه من

أطوار حياة الشاعر الفنية ؛ ثم من حيث ما اقتبس من شعر الشعراء المعاصرين والقدامى أو أفكارهم وصورهم المشهورة عنهم .

من كل هذا يخرج النقاد بأن المسرحية ألفت سنة ١٥٩٥ ؛ إذ أن تبعية ملك ناڤار لملكة إنجلترا إليزابيث انتهت سنة ١٥٩٤ . وهناك أصل تاريخي للسفارة المذكورة فى المسرحية . فلقد استقبل ملك ناڤار فى سفارتين : الأولى كانت أميرة فرنسا بنت كاترين دى ميدتشى هى السفيرة ؛ والأخرى كانت السفيرة فيها هى كاترين ملكة فرنسا نفسها ؛ حيث قابلت الملك هنرى فى سان برى سنة ١٥٨٦ .وكانت آكوتين المقاطعة المذكورة فى المسرحية فعلا ضمن بائنة مرجريت فى زواجها من ملك إنجلترا . وفى كلتا السفارتين كانت تقام الحفلات ويعم المرح أياماً . وأما أكادمية الملك فهى بدورها صدى لحقيقة تاريخية ؛ فلقد جمع ملك نافار بعض العلماء من حوله وذاع صيت هذا البلاط بعلمائه . وكان بذلك يقلد أمراء إيطاليا الذين حاولوا فى بلاطهم بعث المثل الأفلاطونى القديم بإحياء مجالس محاورات العلماء . وأغلب الظن أن شكسبير استقى معلوماته تلك من مختصر عن تاريخ هذه الحركة العلمية ترجم عن الفرنسية فى أيامه وذاع .

وهناك دلالات أخرى تؤيد هذا التاريخ . منها أن بعض أبيات من قصيدة بعينها مؤرخة للشاعر سوثول Southwell توجد فى المسرحية ببعض التحريف البسيط .

أما الأستاذ فلى Fleay فله طريقته الخاصة فى تاريخ مسرحيات شكسبير عامة . إذ يؤرخها بناء على درس تطور الفن الشعرى نظماً ووزناً وقافية فى مؤلفات الشاعر . وقد صدقت نتائجه فى أكثر المسرحيات . وهو يضع هذه المسرحية ضمن أوائل ما ألف شكسبير فى حياته المسرحية . وكذلك يضعها الأستاذ بولدون Baldwin ضمن التركيب الشعرى الشكسبيرى الساذج الذى يمثل بداية الفن عنده . وبعد المسرحية عن التصميم الكلاسى المعروف لروائع شكسبير يؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى .

ويفيض النقاد فى دراسات أخرى حول هذه المسرحية من حيث أصولها واقتباساتها مما يصعب نقله فى هذه المقدمة القصيرة فليرجع إليه من شاء فى مظانه الأصيلة وسيجد صورة مختصرة لذلك فى مقدمة نسخة آردن التى عنها ترجمنا .

سهير القلماوى

أشخاص المسرحية

فرديناد	ملك نافار	Ferdinand
بيرون	أشراف فى خدمة الملك	Berowne
لونجافيل		Longaville
دومان		Dumain
بوييه	شريفان فى خدمة أميرة فرنسا	Boyet
مركاد		Marcade
دون أدريانو دى أرمادو	أسبانى غارق فى الأوهام	Don Adriano de Armado
السيدناثانيل	قسيس	Sir Nathaniel
هولوفرنيز	مدرس	Holofernes
دل[1]	ضابط فى البلاط	Dull
كستار[2]	مهرج	Costard
مث[3]	خادم أرمادو	Moth
حارس الغابة		
أميرة فرنسا		

(١ – ٣) فى الاصل Dull ومعناها غبى و Costard ومعناها تفاحة و Moth ومعناها فراشة . ولم نر ترجمة الأسماء وإن دلت على معان واضحة .

روزالين :	وصيفات فى خدمة الأميرة	Rosaline
ماريا :		Maria
كاثرين :		Katharine
جاكنيتا :	بنت ريفية	Jagueneta

سادة — خدم — إلخ . . .

المنظر : نافار

الفصل الأول

المنظر الأول

حديقة ملك نافار

(يدخل فرديناند ملك نافار وبيرون ولونجافيل ودومان)

فرديناند : يبحث الناس جميعاً عن الشهرة طول الحياة ،
أما نحن فنخلد فى مثوانا الذى تخط عليه يد المجد
آيات البقاء فى ألواح من نحاس لا يبلى أبداً ،
وهكذا نضىء فى ظلمة الموت .
فسعانا فى هذه الحياة ينقذنا من مخالب الزمن
آكل الجيف ، وللزمن منجل حده بتار ،
ولكن المجد يفل منجل الزمن ، ويورثنا الخلود
فيا أيها الغزاة الشجعان ، وإنكم حقاً لغزاة شجعان ،
يا من تقهرون شهواتكم وتقاتلون ملذات العالم
وهى من حولكم كالجحافل الحاشدة ، هكذا قضى
قضاؤنا الأخير ، وهو نافذ أكيد ،
أن تكون نافار عجيبة الدنيا .
ولقد جعلنا هذا البلاط مجمعاً للعلماء ،

يسوده الهدوء وتملؤه التأملات ، فى كل فن من الفنون الحية ، علم من العلوم الخالدة .
وأنتم يا رجالى الثلاثة ،
يا بيرون ، ويادومان ، وأنت يا لونجافيل ،
لقد أقسمتم أن تقيموا معى ثلاث سنوات .
نطلب فيها العلم معاً ونفى فيها بالعهود المدونة فى هذا الطرس.
أما وقد فرغتم من القسم ، فليوقع كل منكم باسمه على ما أقسم عليه ،
حتى يقضى بيده على شرفه
إن هو حنث فى قسمه ولو مقدار خردلة .
فإن صحت عزائمكم على أن تحققوا ما أقسمتم على فعله ،
فلتكتبوا أسماءكم تحت أقسامكم المغلظة
وأوفوا بالعهد وكونوا من الصادقين .

لونجافيل : لقد صح عزمى ، فما هى إلا ثلاث سنوات من الصوم والزهد ،
ثلاث سنوات يشبع فيها العقل ، ويذبل الجسد :
فالبطون السمينة لها رؤوس صغيرة ،
والطعام الشهى يبنى الأكتاف ولكنه يخرب العقول .

دومان : أى مولاى العزيز ! إن دومان ميت بين الأحياء ،

وهو ينبذ خسيس الملذات الدنيوية
ويقذف بها إلى العبيد الأخساء فى هذه الدنيا الخسيسة ،
أجل ، إنه ينبذ الحب والمال والجاه ، ولا أجد لى
فيها حياة
ولكننى أجد فى الحياة الفلسفية متعاً روحية أو عقلية
تعدل هذه المتع جميعها .
بيرون : كل ما أستطيعه أن أكرر ما ألزمونا به
لقد أقسمت يا سيدى العزيز من قبل
أن أعيش وأدرس هنا ثلاث سنين .
ولكن هذا ليس كل شىء ، فهناك شروط قاسية
أخرى نلتزم بها .
مثلا : غير مصرح لنا أن نرى امرأة فى هذه الفترة ،
وإنى لأرجو ألا يكون هذا الشرط مدوناً هناك .
كذلك علينا أن نصوم عن الطعام يوماً كاملا من
كل أسبوع ،
وأن نقنع بوجبة واحدة فيما عدا ذلك من الأيام .
وهذا ما أرجو ألا يكون مدوناً هناك .
كذلك محرم علينا أن تنام أكثر من ثلاث ساعات
كل ليلة .

وألا نغفو لحظة واحدة طول النهار .
ولقد تعودت أن أنام نوماً هنيئاً طول الليل
وأضيف إلى سواد الليل نصف النهار .
لهذا أرجو ألا يكون هذا الشرط مدوناً فى هذه الوثيقة .
تلك كلها فروض عقيمة يصعب الوفاء بها :
ألا نرى النساء ، وأن ندرس وأن نصوم عن الطعام وأن
نمتنع عن النوم .

فرديناند : لقد أقسمت أن تتخلى عن هذه الملذات .

بيرون : عفواً يا مولاى ، أنا لم أفعل من ذلك شيئاً .
أنا ما أقسمت إلا على شىء واحد ،
وهو أن أطلب العلم مع جلالتك ، وأن أقيم فى بلاطك
ثلاث سنوات .

لونجافيل : بل أقسمت على ذلك يا بيرون ، وعلى كل ما يتبعه
من نتائج .

بيرون : أقسمت بلا ونعم يا سيدى ، أقسمت هازلا ،
قل لى : ما جدوى الدرس ؟

فرديناند : أن نعرف ما لا نستطيع أن نعرفه لولاه

بيرون : أتقصد ما خفى واستعصى على إدراك الناس الفطرى ؟

فرديناند : أجل ، هذه هى النفحة الإلهية التى وعدت للدراسين .

بيرون : إذا كان هذا هو العلم ، عاهدتك أن أدرس
حتى أعرف ما نهيت عن معرفته .
فإن حرمت على لذائذ المائدة
درست لأعرف أين أجد لذيذ الطعام
وإن اختفت الغوانى عن أنظار عامة الناس
درست كيف ألقى الغوانى الفاتنات .
وإن أقسمت أغلظ الإيمان أن أفى بشىء
درست كيف أتحلل من قسمى دون أن أتحلل من وفائى .
فإذا كانت كل هذه ثمار الدرس وكان الدرس ما تصون ،
فإن الدرس يثمر ما لم يثمره بعد .
هيا ، خذوا العهد منى ، فلن أضن بالعهد عليكم .
فرديناند : إن ما ذكرت هو الحوائل التى تسد طريق العلم
وتعود أفهامنا اللذات الكاذبة .
بيرون : بل كل اللذات كاذبة ،
وأكذب اللذات هى التى نبتاعها بالألم
فلا نرث منها غير الألم .
انظر إلى الكتاب : كم يشقى فيه نور العين

باحثاً عن نور الحق ، ونور الحق يعشى نور العين .
نور يبحث عن نور ! فإذا النور يروغ من النور ،
وقبلما تتميز مكان النور من الظلمة
تفقد عينيك فيظلم نورك .
فلندرس إذن كيف نبهج العين حقاً ،
وبهجة العين أن تلتقى بعين أعظم منها فتنة وجمالا ،
بهر ناظره فلم يبصر إلا العين مصدراً للنور ،
ووهبته العين النور الذى أعشاه .
فالعلم إذن كالشمس الباهرة فى السماء ،
لا يصل إلى جوهرها من حملق بوقاحة فيها .
وهكذا لا يجنى الباحثون الدائبون فى كتب الغير
إلا رأى الغير ، وياله من كسب خسيس .
وراصد الأفلاك مصابيح السماء ،
الذى يبتكر اسماً لكل نجم ثابت
لا ينعم بضياء الليل
أكثر مما ينعم به السارى الذى لا يعرف من أمره شيئاً .
ومن أسرف فى طلب العلم لم يجن شيئاً سوى الشهرة
الجوفاء .
فهو يقف عند المظهر دون الجوهر ، ومظهر الأشياء فى
متناول كل إنسان .

فرديناند : إن قراءته الواسعة قد جعلته يحمل على القراءة .

دومان : وتقدمه فى العلم جعله يسخر من العلماء .

لونجافيل : هو يقتلع الزرع ثم يترك ما اقتلع لينمو .

بيرون : إن رأيت الإوز الأخضر يفرخ فاعلم أن الربيع قد جاء.

دومان : وما صلة هذا بما نقول ؟

بيرون : صلة الزمان والمكان .

دومان : ولكنه غير معقول .

بيرون : إذن فقد حكمتنى القافية .

فرديناند : إن بيرون حسود
كالصقيع الذى يقتل بواكير الربيع .

بيرون : لك ما تريد . . أنا كذلك إن شئت .
فكيف يباهى الصيف الفخور قبلما يغنى الطير
وكيف أطرب للوليد الممسوخ جاء قبل الآوان ؟
فأنا لا ألتمس الورود فى برد الشتاء ،
كما لا أطلب الثلوج فى جنة الربيع الغناء .
بل أحب من الأشياء ما جاء فى أوانه ،
وطلبكم العلم الآن قد جاوز زمانه ،
كمثل من يتسلق عالى الأسوار ليفتح باب الدار المنخفض .

فرديناند : إذن فأنت تتنحى يا بيرون ، هيا انصرف إلى بيتك .
صاحبتك السلامة !
بيرون : كلا يا مولاى ، أنا أقسمت أن أقيم معك .
ورغم أنك تستطيع القول إنى قد أفضت فى الدفاع
عن شيطان الجهل
بأكثر مما أفضت فى الدفاع عن ملاك المعرفة ،
فإنى واثق من احترامى لقسمى ،
وسوف أقوم بالتكفير ثلاث سنوات يوماً بيوم .
هات الورقة لأقرأها ؛
وسوف أوقع باسمى على أقسى ما بها من شروط .
فرديناند : إن هذا القبول لينقذك من العار .
بيرون : (يقرأ) المادة الأولى : «لا يجوز أن توجد امرأة على
على بعد يقل عن ميل من بلاطنا» .
هل أذيع هذا القرار ؟
لونجافيل : أجل ، منذ أربعة أيام ،
بيرون : فلنقرأ العقوبة (يقرأ) : «وإلا عوقبت بقطع لسانها» .
منذا الذى وضع هذه العقوبة ؟
لونجافيل : قسماً أننى أنا الذى وضعتها .
بيرون : وما سبب وضعها يا سيدى العزيز ؟

لونجافيل : لنخيف النساء بهذه العقوبة الرادعة فلا يقربن هذا المكان .

بيرون : هذا قانون خطر لا يتفق مع الأدب والذوق .
(يقرأ) المادة الثانية : « إذا رؤى رجل يتحدث إلى امرأة
خلال ثلاث سنوات حكم عليه بقية رجال البلاط
بما يتراءى لهم لتحقيره فى عيون الناس » .
لابد لك يا مولاى من أن تحرق هذا القانون .
فأنت تعلم حق العلم
أن بنت ملك فرنسا ،
وهى فتاة ذات فتنة وجلال ،
قادمة إلى هذا البلاط فى سفارة
لتفاوضك فى أمر تسليم « آكويتين[١] »
لأبيها الشيخ المريض القعيد الطريح الفراش .
وعلى هذا فقد وضعت هذه المادة بغير جدوى
أو أن الأميرة الجميلة تسعى إلينا عبثاً .

فرديناند : وما قولكم أيها السادة ؟ لقد فاتنا أمرها تماماً .

بيرون : المبالغ فى التدبير يجاوز الهدف .

---

(١) Aquitaine = آكويتين .

فهو فى حرصه على تحقيق غرضه المنشود ينسى أداء الواجب المحدود .
وما إن يبلغ منتهى مراده حتى تضيع ثمار جهاده .
كالمدينة تخسرها حين تقهرها :
تفتحها بالحديد والنار ، فإذا هى أنقاض من دمار .

فرديناند : لابد إذن من إلغاء هذا القرار .
لابد أن تقيم بيننا الأميرة بحكم الضرورة .

بيرون : إن الضرورة ستضطرنا جميعاً
إلى أن نخرق كل الأحكام ثلاثة آلاف مرة خلال ثلاثة أعوام .
إن كل من فى الأرض يولد ومعه نزعاته ،
لا تحكمه القوة ولكن تسيره رغباته .
فإن حنثت بالقسم فاعلموا أن طبعى هو الذى حنث .
فأنا لا أحنث إلا بحكم الضرورة .
هاتوا إذن أحكامكم كلها أوقع عليها
(يوقع) . ومن يخرق هذه القوانين ولو فى أصغر صغيرة استحق أن ينزل به العار الأبدى .
إن المغريات تكتنف غيرى من الناس كما تكتنفنى ،
ولكنى أعتقد أنى سوف أكون آخر من يخرق هذا العهد .

أما الآن وقد فرغنا ،
أما لديكم من متعة سريعة نروح بها عن النفس ؟
فرديناند : نعم ، لدينا . أنت تعلم أن بلاطنا يتردد عليه رحالة إسبانى ،
وهو رجل ذو رقة مصقول يلم بكل جديد فى عالم السلوك .
رجل يتفنن فى ابتكارات العبارات
كأن رأسه دار لسك الكلام ،
رجل يصغى لنفسه وينصت لكل ما يجرى به لسانه
من حديث أجوف فيسكر به كأنه أعذب الألحان ،
رجل مهذب قادر على أن يعرف الحق من الباطل
إذا اختلف فيهما .
واسم هذا الرجل رضيع الأوهام السيد أرمادو .
وسوف يقص علينا فى خلال أوقات الدرس
أجمل القصص فى أعذب كلام عن مآثر الفرسان
الذين خرجوا زرافات من إسبانيا ، بلد المسوح والرهبان ،
ثم ضاعوا فى النضال الأكبر الذى التهم الدنيا ،
ولست أدرى أيها السادة هل يسركم حديثه أم يسوؤكم ،
أما أنا فأعترف لكم بأنى أحب أن أستمع لأكاذيبه ،
وسوف أجعل منه الشاعر الذى يطربنى بأغانيه .
بيرون : أرمادو رجل ذائع الصيت ، رجل طريف الحديث ، -

وهو فارس الفرسان فى كل مستحدث وجديد .

لونجافيل : إذن سنجعل منه ومن كستارد[١] الفلاح مسلاتنا ،
وهكذا تمضى سنوات الدرس سريعاً ونزجى بهما أوقاتنا .

(يدخل الضابط دل [٢] حاملا خطاباً ومعه المهرج كستارد)

دل : من منكم الأمير ؟

بيرون : هذا السيد . وماذا تبغى منه ؟

دل : أنا أمثل شخصه ،
لأنى ضابط فى خدمة سموه ،
ولكنى أحب أن أرى برسمه لا باسمه .

بيرون : هذا هو .

دل : السنيور أرما — أرما يهديك السلام
ويقول إن الفساد قد استشرى خارج نافار . وها هو ذا
خطابه يشرح التفاصيل .

كستارد : أما مضمون فى هذا الخطاب فيمسنى

فرديناند : هذا خطاب من أرمادو العظيم .

بيرون : مهما يبلغ موضوعه من التفاهة ،
فأملى أن تكون لغته بليغة .

---

(١) Costard ومعناه تفاحة .

(٢) Dull ومعناه الغبى .

لونجافيل : أمل عظيم فى شىء حقير .
ألهمنا الصبر يا الله . . .

بيرون : . . . لنسمع كلامه أو لنمسك عن الضحك منه

لونجافيل : لنسمع فى إقبال ونسخر فى اعتدال
أو نمسك عن هذا وذاك .

بيرون : فلننتظر إذن يا سيدى لنر ما تأتى به
بلاغة السيد أرمادو من فكاهة .

كستارد : مسألتى يا سيدى تتعلق بالبنت جاكنيتا ،
وظروف الموضوع أنى ضبطت متلبساً شكلا وموضوعاً .

بيرون : على أى وجه ؟

كستارد : يتلخص الشكل والموضوع فى الأمور الثلاثة الآتية :
رأى الناس وجهى مع وجهها فى الدوار .
هذا من ناحية الشكل . أما موضوعاً فقد كنا جالسين
على المقعد الكبير .
وحين ضبطت كنت أمشى وراءها فى الحديقة .
وهكذا يتفق الشكل والموضوع .
أما الشكل يا سيدى فهو شكل رجل يتحدث إلى
امرأة ،

وأما الموضوع فهو موضوع رجل يتحدث إليها فى
موضوع ما

بيرون : أهذا لأنك تعقبتها ؟

كستارد : نعم ، كما تتعقبنى العقوبة ،
والله يحق الحق .

فرديناند : هلا أصغيتم جيداً لهذا الخطاب ؟

بيرون : كما تصغى لقارئ الغيب .

كستارد : ما أضعف الإنسان
حين يصغى لنداء الجسد .

فرديناند : (يقرأ) « أيها الخليفة العظيم ! يا ظل الله على الأرض !
أيها الحاكم بأمر السماء ! يا سيد نافار بغير شريك !
يا معبود روحى فى الأرض ويا مطعم جسدى ! »

كستارد : لم يصل الكلام بعد إلى كستارد .

فرديناند : (يقرأ) هذه هى الحقيقة :

كستارد : ربما كانت هذه هى الحقيقة ،
ولكن إذا قالها أرمادو فهو لا يقول الحقيقة .

فرديناند : اهدأ يا رجل .

كستارد : فلتهدأ روحى وروح كل من يخشى القتال .

فرديناند : صمتاً !

كستارد : أتوسل إليك ألا تتحدث فى أسرار الناس .

فرديناند : (يقرأ) « الحقيقة أنى وقد حاصرتنى الهموم السوداء من كل جانب ،
رأيت شفاء هذا الضيق الحالك فى التماس هوائك النقى .
ولما كنت من السادة الأشراف
خرجت ألتمس النزهة على الأقدام . وفى أى زمان كان ذلك ؟
نحو الساعة السادسة حين يقبل الحيوان على الكلأ ،
وتكثر الأطيار من النقر ، ويجلس الناس إلى زادهم ذاك الذى يسمونه عشاء .
هذا ما كان من أمر الزمان . بعد هذا نسأل : فى أى مكان كان ذلك ؟
أقصد فى أى مكان كانت نزهتى ؟ فى المكان الذى يسمونه بحديقة الملك .
ثم الأين ؟ أعنى أين شاهدت ذلك الحدث الشائن السخيف
الذى يستدر من قلمى الطاهر الناصع نصوع الثلوج
هذا المداد الفاحم الذى تلحظه الآن أو تبصره أو تتمعن فيه أو تراه .

أما عن الأين ، أين كان المكان ؟ فهو الشمال الشرقى
شمالا فى اتجاه الشرق ،
من الركن الغربى من حديقتك ذات الأحواض المنسقة العجيبة ،
هناك رأيت ذلك الجلف السافل ،
ذلك القرموط المهرج فى بلاطك »

كستارد : أنا ؟

فرديناند : « ذلك الأمى الجهول » ،

كستارد : أنا ؟

فرديناند : « ذلك العبد التافه التفكير » ،

كستارد : أيقصدنى أنا ؟

فرديناند : « واسمه على ما أذكر كستارد »

كستارد : أنا هو !

فرديناند : « رأيته يخرج متحدياً قانون العفة النافذ
الذى أصدرته للناس . رأيته ، رأيته يخرج
مع . . . مع . . . يا لهول المصيبة . . . مع . . . »

كستارد : مع بنت ،

فرديناند : مع طفلة من أطفال جدتنا حواء .
أى بصريح العبارة : مع امرأة .

هذا أرسلته إليك ليلقى جزاءه الرادع
على يدى أنتونى دل ، الضابط فى خدمة جلالتك ،
وهو رجل حسن السمعة ، حسن السلوك ، حسن التصرف ، محترم فى عيون الناس . »

دل : أنا هو يا صاحب الجلالة ، إذا تعطف مولاى ، أنا أنتونى دل

فرديناند : « أما عن جاكنيتا ، وهذا اسم المخلوقة الضعيفة ،
فقد ألقيت عليها القبض مع هذا الجلف ،
وهى الآن تحت يدى لتكون تحت مخالب قانونك المنتقم الرهيب ،
وإذا تعطف مولاى وأومأ إلى بأقل إشارة ، قدمتها فوراً للمحاكمة .
وأنا خادمك الساهر فى طاعتك المتأجج القلب فى أداء واجبك .
(دون ادريانو دى ارمادو)

بيرون : ليس هذا حسناً كما انتظرت ،
ولكنه أحسن ما سمعت .

فرديناند : وهو عندى أجمل وصف لأشنع فعل .
ولكن ما قولك يا غلام فى هذا الاتهام؟

كستارد : وأنا أعترف يا مولاى بحكاية البنت .
فرديناند : هل سمعت بالقانون الذى أذيع ؟
كستارد : نعم ، أعترف بأنه أذيع كثيراً ،
ولكن أطيع قليلا .
فرديناند : لقد أعلن فى الناس أن من يضبط مع بنت
يعاقب بالسجن سنة .
كستارد : أنا لم أضبط مع بنت يا مولاى .
أنا ضبطت مع آنسة .
فرديناند : هذا ما قاله القانون : من يضبط مع آنسة .
كستارد : إنها لم تكن آنسة يا مولاى ، بل كانت عذراء .
فرديناند : هذا ما نص عليه القانون أيضاً : قال عذراء .
كستارد : إذا كان الأمر كذلك ، فإنى أنكر أنها كانت عذراء .
لقد قبضوا علىّ مع فتاة .
فرديناند : هذه الفتاة لن تفيدك فى شىء يا سيدى .
كستارد : بل هذه الفتاة سوف تفيدنى يا مولاى .
فرديناند : سأنطق بالحكم عليك يا سيدى :
أحكم عليك بالصوم أسبوعاً على الماء والنخالة
كستارد : أفضل أن أرجوك بالحكم علىّ شهراً مع اللحم والعصيدة .
فرديناند : وسوف يكون دون أرمادو سجانك .

هيا يا سيد بيرون ، تول أمر تسليمه للسجان .
ولنمض أيها السادة
لتنفيذ ما تعاهدنا عليه .
(يخرج الملك ولونجافيل ودومان)

بيرون : أراهن برأسي أمام الجموع ،
أن هذه العهود والقوانين سوف يسخر منها الناس .
هيا بنا يا غلام .

كستارد : أنا شهيد الحق . لأني حقيقة ، ضبطوني مع جاكنيتا ،
وجاكنيتا بنت حقًّا كلها إخلاص
مرحى إذن بكأس السراء المريرة ،
فقد تبتسم لي يوماً مرة أخرى شمس الضراء ،
وحتى يأتي ذلك اليوم ، فلتسقط الأحزان .
(يخرجان)

الفصل الأول

المنظر الثانى

نفس المنظر

(يدخل أرمادو وتابعه)

ارمادو : يا ولد ! إن رأيت رجلا مرحاً ، أطبقَتْ عليه الكآبة ،
فما دلالة ذلك ؟

مث : دلالته عظيمة تقرأ فى وجهه ، وهى الحزن .

ارمادو : وما الحزن وما الكآبة . إنهما شىء واحد
يا غلامى العزيز .

مث : كلا ، ثم كلا ،

ارمادو : وكيف تفرق بين الحزن والكآبة
أيها الشاب الرقيق ؟

مث : بتجربة مألوفة تظهر أثر كل منهما ،
أيها الشيخ التليد .

ارمادو : الشيخ التليد ؟ ولم تسمينى بالشيخ التليد ؟

مث : ولم تسمينى بالشاب الرقيق ؟

ارمادو : سميتك بالشاب الرقيق لأن هذا نعت ملائم

ينطبق على حداثة سنك
التى يمكن أن نصفها بالرقة .

مث : وأنا سميتك بالشيخ التليد لأن هذا ينطبق على كبر سنك
الذى يمكن أن نصفه بالإتلاد .

ارمادو : هذا جميل ودقيق .

مث : وماذا تقصد يا سيدى بقولك جميل ودقيق ؟
أتقصد أنى جميل وكلامى دقيق ؟أم تقصد أنى دقيق
وكلامى جميل ؟

ارمادو : أقصد أنك جميل لأنك صغير .

مث : إذن فأنا جميل صغير لأنى صغير . وفيم رأيت دقتى ؟

ارمادو : وأنت دقيق لأنك سريع .

مث : أهذا ثناء منك على يا سيدى ؟

ارمادو : نعم ، فأنت تستحق هذا الثناء .

مث : وإنى لأثنى على ثعبان السمك هذا الثناء نفسه

ارمادو : وهل ثعبان السمك سريع البديهة ؟

مث : إن ثعبان السمك سريع الحركة

ارمادو : أنا قصدت أنك سريع الإجابة .
أنت تثيرنى

مث : أنا اقتنعت ، يا سيدى

ارمادو : وأنا أكره النقد .

مث : (لنفسه) هذا عكس الواقع ،
فالنقد[1] يكرهه .

ارمادو : لقد وعدت أن أدرس مع الأمير ثلاث سنوات

مث : يمكنك أن تفرغ من هذا الدرس فى ساعة

ارمادو : هذا محال .

مث : كيف يكون الواحد إذا عُد ثلاث مرات ؟

ارمادو : أنا ضعيف فى الحساب ، فهو يليق بصاحب الحان

مث : وأنت سيد ومقامر .

ارمادو : أعترف بكليهما ، فهما الصفتان المميزتان
للرجل المهذب .

مث : إذن لابد أنك تعرف
مجموع « دويك » فى النرد

ارمادو : إن مجموعهما أكثر من اثنين بواحد .

مث : أى ثلاثة بلغة عامة الناس .

ارمادو : صدقت .

---

(١) فى الأصل Crosses ومعناها النقود ؛ للصلبان المرسومة عليها .
واستعملنا النقد لتتعارض مع كلمة النقد فى حديث أرمادو وهو يقصد بها المعارضة .

مث : أهذه معضلة ؟ لقد درست العدد ثلاثة قبل أن تغمض عينك ثلاث مرات .
أضف كلمة سنوات إلى كلمة ثلاثة . بمنتهى السهولة .
هكذا تدرس ثلاث سنوات فى كلمتين .
إن أردت أن تتعلم الحساب فاذهب إلى الحصان الرياضى « مراكش »[1].

ارمادو : هذا بيان جميل .

مث : يثبت أنك صفر .

ارمادو : هنا أعترف بأنى عاشق .
يقولون عيب على الفارس أن يعشق ، لذلك عشقت امرأة معيبة . .
وإذا كان امتشاق الحسام فى وجه الغرام ينجينى من هواجسه الشريرة ،
فسوف تقع الشهوة أسيرة فى يدى ،
أطلق سراحها لمن شاء من رجالات فرنسا إذا هو أدى الفدية ،

---

(١) فى الأصل الحصان الراقص والشراح يقولون إنه يقصد حصاناً معيناً أحضره رجل اسمه بانكس فى عهد الملكة إليزابيث وكان يأتى بالعجب كأن يضرب برجله ضربات تعادل عداً ما فى جيوب الناس من قطع نقدية . حاول بعضهم أن يؤرخ المسرحية بما ورد فى التاريخ عن هذا الحصان ولكن المحاولة لم تفلح .

والقدية التى أطلبها هى درس جديد فى التحية .
أنا أحتقر آهات العشاق . وسوف أسكت كيوبيد
بوابل الإيمان .
هيا خفف عن نفسى يا غلام .
قل لى : من هم الأبطال العشاق ؟

مث : هرقل واحد منهم يا سيدى .

ارمادو : هرقل حبيبى . ومن غيره تعرف من أساتذة الغرام ؟
اذكر غيره ، تكلم يا غلامى العزيز ،
ولا تذكر إلا من علا صيته واشتد احتماله .

مث : شمشون يا سيدى . كان شمشون رجلا شديد الاحتمال
إلى حد أنه حمل باب المدينة على ظهره كالحمال .
نعم ، كان شمشون من أهل الغرام .

ارمادو : أى شمشون ! يا قوى العضلات ! أى شمشون !
يا قوى المفاصل !
أنت تفضلنى فى حمل الأبواب ،
ولكنى أفضلك فى حمل الحسام ! وأنا مثلك من أهل
الغرام .
حدثنى يا عزيزى مث ، من شغل قلب شمشون ؟

مث : امرأة يا سيدى

ارمادو : وما لونها ؟

مث : كانت لها الطبائع الأربعة[1] . وكانت لها أحياناً ثلاثة ألوان . .
وأحياناً تتلون بلونين . وأحياناً كان لها لون واحد من الألوان الأربعة .

ارمادو : بل حدد من أى لون كانت ؟

مث : كان لونها كالبحار الخضر يا سيدى .

ارمادو : وهل اللون الأخضر من ألوان المزاج الأربعة ؟

مث : نعم يا سيدى ، هذا ما قرأته ، بل والأخضر أجملها جميعاً .

ارمادو : هذا صحيح فالأخضر لون المحبين .
ولكن عجيب أن يتخذ شمشون لنفسه حبيبة خضراء .
لا شك أنه عشقها لذكائها .

مث : أجل يا سيدى ، فقد كان ذكاؤها غير ناضج .

ارمادو : أما حبيبتى فهى بيضاء حمراء لاشية فيها .

---

(١) كلمة Complexion الإنجليزية تحتمل معنيين الأول لون بشرتها وهو ما يقصده أرمادو والثانى مزاجها الدموى ، والبلغمى ، والصفراوى ، والسوداوى ، وهو ما يقصده مث .

مث : وخلف هذه الألوان الطاهرة يا سيدى
تختفى أكثر الأفكار الداعرة .
ارمادو : اشرح كلامك . اشرح كلامك يا غلامى العلامة !
مث : يا ذكاء أبى ! ويا لسان أمى ! أنجدانى !
ارمادو : هذا استنجاد جميل من طفل .
هو جميل وهو يهز المشاعر
مث : إن كان لونها أبيض مشوباً بحمرة .
فإن أحداً لن يعرف قط ذنوبها
لأن الذنوب تبعث حمرة الخجل فى الخدود
والمخاوف ينم عليها البياض الضارب إلى الصفرة .
ولهذا فإنها إذا خافت ، أو فعلت ما يستحق اللوم ؛
فإنك لن تعرف من هذا شيئاً
لأن وجنتيها تحتفظان على الدوام بلون واحد
هو الذى حبتها به الطبيعة .
هذا شعر يندد بالإسراف
فى استخدام المساحيق الحمراء والبيضاء .
ارمادو : حدثنى يا غلام : ألم تسمع بأغنية عن « الملك والشحاذة » ؟
مث : كانت هناك أغنية بهذا المعنى منذ ثلاثة أجيال ،

وكانت وصمة فى جبين زمانها ،
ولكنى أعتقد أن هذه الوصمة قد زالت .
وإذا فرض أنها لا تزال حية فإن ألفاظها وموسيقاها لا يعبران عن عاطفتك .

ارمادو : سأجعل الشعراء ينظمون فى هذا الموضوع من جديد .
حتى أقيس غرامى الشائن بغرام ذلك الملك العظيم .
اسمع يا غلام : أنا أعشق البنت الفلاحة
التى ضبطتها فى الحديقة مع ذلك الجلف الذكى كستارد .
وهذه البنت أهل لغرامى .

كستارد : (لنفسه) بل هى أهل للسياط .
ومع ذلك فهى خليقة بحبيب أحسن من سيدى .

ارمادو : هيا ، غن لى يا غلام ، فقلبى ثقيل بأشجان الغرام .

مث : عجباً ! كيف يثقل قلبك لفتاة لا وزن لها .

ارمادو : قلت غن

مث : فلنمسك عن الغناء حتى ينصرف القادمون .

(يدخل الضابط دل ، وكستارد ، والبنت جاكنيتا)

دل : يا سيدى ، بأمر الملك احبس كستارد ،
واحبس عنه كل متعة ، بل احبس عنه متعة التفكير ،

ولكن عليه أن يصوم ثلاثة أيام كل أسبوع .
أما هذه الآنسة ، فإن عليّ أن أحبسها في الحديقة ،
لتساعد حالبة اللبن .

ارمادو : الدم يصعد إلى خدى فيفضح غرامى . يا فتاة !

جاكنيتا : يا رجل !

ارمادو : سأزورك فى البيت .

جاكنيتا : هذا ليس بعيداً .

ارمادو : أنا أعرف مكانه .

جاكنيتا : يا للجرأة !

ارمادو : سأقص عليك العجائب .

جاكنيتا : أهذا صحيح ؟

ارمادو : أنا أحبك .

جاكنيتا : سمعتك تقول ذلك .

ارمادو : والآن وداعاً .

جاكنيتا : صحبتك السلامة .

دل : هيا ننصرف يا جاكنيتا .
(يخرجان)

ارمادو : أيها الوغد ، لابد أن تصوم تكفيراً عن جريمتك
قبل أن تنال العفو .

كستارد : إذن فأرجو أن أصوم ، حين أصوم ،
بعد أكلة هنيئة .
ارمادو : عقابك عندى أليم .
كستارد : إنى ألصق بك من جميع خدمك ،
لأن جزاءهم عندك أخف من جزائى .
ارمادو : خذوا هذا الوغد وألقوا به فى السجن .
مث : هيا أيها العبد المجرم . إلى السجن .
كستارد : لا تدخلونى السجن يا سيدى . إن أطلقت سراحى
صمت عن الطعام .
مث : كلا يا سيدى ، إن ذلك يكون منا خيانة ،
لابد من حبسك .
كستارد : لو رأيت ما قد رأيت من أيام الهناءة
فسوف يرى الغير منى . . .
مث : وماذا يرى الغير منى ؟
كستارد : لن يرى غير ما يقع بصره عليه ، يا سيد مُث .
إن الصمت ليس من شيم السجناء ،
ولهذا سوف أكف عن الكلام .
والحمد لله إن صبرى قليل كصبر غيرى من الناس .
ولهذا أستطيع السكوت .
(يخرج مث وكستارد)

ارمادو : أنا أعشق الأرض التى تمشى عليها ، وهى دنيئة ،
الأرض التى يطؤها حذاؤها ، وهو أدنأ ،
كلما تحركت فى حذائها قدمها ، وهى أدنأ من هذه وتلك ،
سأقلع عن الهوى إن كنت أحب ، وهو أكبر دليل على كذبى .
وكيف يكون الحب صادقاً إذا كان طريقه كاذباً ؟
الحب شيطان يلازم الإنسان ، الحب إبليس ،
وليس بين ملائكة السماء ملاك شرير إلا ملاك الحب .
ومع ذلك فقد أذل الحب شمشون ، وهو القوى الجبار .
وفتن الحب قلب سليمان ، وهو أحكم الحكماء .
إن سهم كيوبيد المثلم لأقوى من هراوة هرقل ،
فهو من باب أولى أقوى من السيف الإسبانى .
والسبب الأول والثانى ، من الأسباب التى تدعو إلى المبارزة ، لن يكفيانى .
كيوبيد غلام جموح : هو لا يكترث بأسباب القتال ،
وهو لا يعرف أصول المبارزة ، فهو لا يعبأ بقواعد النزال .
أكبر عار له أن تدعوه بالغلام ، ولكنه يفخر بأنه يصرح أعظم الرجال .

وداعاً إذن أيتّها الشجاعة ! وأنت يا حسام ! اصدأ فى جرابك !

اصمتى يا طبول الحرب على الدوام ، فقارعك قد وقع فى شرك الغرام .

نعم ، هو عاشق ولهان . ألهمنى يا إله القريض فإنى أوشك أن أرتجل القصيد !

تفتق يا خيال ، واكتب يا قلم ، ففى قلبى مجلدات من الشعر !

(يخرج)

ف ٢

الفصل الثانى

المنظر الأول

(تدخل أميرة فرنسا ، ومعها وصيفاتها الثلاث ، ماريا وكاترين وروزالين ، ومعهن بوييت ونفر من الأشراف وأتباعهم)

بوييت : والآن يا سيدتى ، استجمعى أعظم ما وهبت من ذكاء ،
وتدبرى من ذا الذى أوفده أبوك الملك رسولا عنه ،
وإلى من أرسل هذا الرسول ، وما رسالته .
أنت هذا الرسول الذى يجله كل من فى العالم ،
وقد جئت لتفاوضى الرجل الذى اجتمعت له وحده
كل ما يستطيع أن يجتمع لإنسان من فضائل .
جئت لتفاوضى سيد نافار الذى لا يشق له غبار ،
جئت لتطلبى « آكويتين » الغالية مهراً لملكة غالية .
كونى إذن سخية بالأفضال
كما سخت عليك الطبيعة بالجمال ،
حينما حرمت منه جميع الأنام ،
وأغدقته كله عليك وحدك .

الأميرة : أيها السيد الكريم بوييت . إن جمالى هذا القليل
لا يحتاج منك كل هذا الإطراء المنمق .

إنما تعرف قدر الجمال العيون الفاحصة ،
فهو ليس سلعة خسيسة تنادى بها ألسنة التجار .
فاعلم إذن أن فخرى حين أسمعك تطرى بهائى
أقل من حرصك الشديد على أن يقر الناس لك بالذكاء
حين يتفتق ذكاؤك هذا فى الثناء على . والآن فلنبحث
عن عمل ذلك الذى يريد أن يعلمنا ما نعمل . أيها السيد
الكريم بوييت ،
أنت لا تجهل أن الشائعات تجرى على كل لسان
خارج البلاد
بأن ملك نافار قد أخذ على نفسه عهداً
بألا تزعج امرأة سكون بلاطه ،
حتى تنصرم ثلاث سنوات من الدرس المضنى .
لهذا يبدو أنه لابد لنا
قبل أن نجتاز أبوابه المحرمة ، أن نعرف مراده .
ولهذا الغرض قد اخترناك ،
واثقين من قدرتك ،
لتكون المتحدث البليغ بلساننا .
قل للملك أن بنت ملك فرنسا
قد جاءت تطلب قضاء أمر عاجل خطير ،

وهى تبغى الاجتماع شخصياً بجلالته .
هيا ، أسرع ، واحمل إليه هذا الكلام ، ونحن هنا وقوف
فى انتظار أمره العالى، وقوف السائل الخاشع .

بوييت : هذا شرف عظيم . إنى ذاهب بكل سرور .
(يخرج بوييت)

الأميرة : كل ما نفعله برضا يشرفنا وهذا شأنك الآن .
والآن ، أى سادتى الأوفياء ، من يكون هؤلاء النساك الذين أقسموا
مع هذا الملك الصالح أن يشاطروه عناء الدرس ؟

السيد الأول : السيد لونجافيل أحدهم .

الأميرة : أتعرفين هذا السيد ؟

ماريا : نعم ، يا مولاتى . أعرفه ، فقد رأيت لونجافيل هذا
يوم أن احتفل فى نورمندية
بزواج السيد النبيل بريجور[1]
بالغادة الفاتنة وريثة جاك فالكونبريدج .
وهو رجل شهر بسمو شمائله ،

(١) الأسماء هى Lord Perigort, Jaques Falconbridge

فهو نابغ فى الفنون وهو نابه فى الحروب ،
لا شىء يثنيه إذا حسنت نيته فى عمله
ولا تشوب فضائله الناصعة ،
إن كان يمكن للشوائب أن تشوب الفضائل الناصعة .
إلا شدة فى الذكاء لا يعبأ معها بشعور غيره .
وقد بلغ من حدة ذكائه أنه يمزق كل إرادة تقف فى
سبيله ويسحق كل ما يقابله .
فذكاؤه حاد يمزق كل شىء وإرادته قوية لا ترحم
من يقع تحت سلطانه .
الأميرة : يبدو أنه سيد مرح ساخر . أهذا ما تقصدين ؟
ماريا : هذا ما يقوله أكثر الناس علماً بطبعه .
الأميرة : مثل هذا الذكاء القصير الأجل يذبل قبل أن ينضج .
ومن يكون السادة الآخرون ؟
كاترين : الفتى دومان ، وهو شاب مهذب أحسن التهذيب ،
فهو يحب الفضيلة لذاتها .
له من القوة ما يستطيع أن ينشر به الشر والأذى ؛ وإن
كان لا يعرف للأذى معنى .
وله من الفطنة ما يبدو معه الشر خيراً ،
ويكسب الشىء جمالا ، وإن كان جمالا لا عقل له .

رأيته ذات مرة فى قصر الدوق ألنسون ،
فرأيت من فضائله العظيمة
ما يقصر بيانى عن وصفه لمولاتى .
روزالين : وإذا كان ما سمعته صحيحاً
فقد كان مع الملك فتى آخر ممن يطلبون العلم ،
واسم هذا الفتى بيرون . ولم أقض قط ساعة
مع إنسان أكثر منه مرحاً .
ولكن مرحه لا يتجاوز الحدود أبداً .
وإن عينه لتخلق أسباب دعابته ،
فكل ما تقع عليه تلك تجعل منه هذه فكاهة
يجرى بها لسانه الحلو
فى أجمل كلام وأرشق عبارة .
وقد بلغ من فيض سحره
أن الشيوخ يتركون أعمالهم
ليستمعوا إلى قصصه ،
أما الشباب فيفتنهم بحديثه العذب السلس .
الأميرة : بارك الله فى سيداتى ، فهن جميعاً عاشقات ،
وكل تدبج لرجلها أجمل آيات الثناء ،
وتحليه بدرر الإطراء .

السيد الأول : ها هو ذا بوييت قادم علينا

(يدخل بوييت)

الأميرة : كيف استقبلت يا سيدى ؟

بوييت : إن ملك نافار قد علم بقدومك السعيد
وقد كان يتأهب مع من اشتركوا معه فى قسمه
للقاء سيدتى الكريمة قبل أن آتى إلى هنا .
وقد علمت من نوايا الملك
أنه يريد منك أن تقيمى فى الحقول خارج قصره .
كأنما جئت لتحاصرى بلاطه ،
بدلا من أن يلتمس التحلل من قسمه
فيدعوك إلى قصره الخالى من الخدم والحشم .
ها هو ذا ملك نافار مقبل علينا .

(يدخل فرديناند ملك نافار ولونجافيل ودومان و بيرون وأتباعهم)

فرديناند : أى سيدتى الجميلة ، أهلا بك فى بلاط نافار .

الأميرة : الجمال أرده عليك يا سيدى ، أما حلولى بالبلاط
فلم يتم بعد . إن سقف هذا الفناء رفيع لا يناسبك ،
وحلولى بهذه الحقول الواسعة حطة لا تليق بى .

فرديناند : أنت على الرحب والسعة فى بلاطى .

الأميرة : إذن فأنت ترحب بى حقًا ! هنا ، أرنى الطريق .

فرديناند : أيّها السيدة العزيزة ، استمعى إلى مقالى . أخذتُ على نفسى عهداً .

الأميرة : وسوف تنكث بالعهد ، فلتسامحك العذراء .

فرديناند : كلا ، ولو أعطيت ملك الدنيا يا سيدتى الجميلة لن أنكث بالعهد راضياً .

الأميرة : إن إرادتى ستتغلب على يمينك ، ولا شىء غير هذا .

فرديناند : إن سيدتى تجهل موضوع القسم .

الأميرة : لو أن سيدى جهله كذلك لأصاب من الجهل حكمة .
أما الآن فحكمته ستتمخض عن جهالة .
نعم ، سمعت أن جلالتك قد أقسمت أن تتخلى عن كرم الضيافة .
وعندى أن حنثك بهذا القسم خطيئة ،
ولكن وفاءك به خطيئة أعظم .
غير أنى أطلب عفوك يا سيدى ،
فقد اجترأت عليك دون تريث ،
وما كان لى أن أعلم معلماً مثلك .
والآن تعطف يا سيدى واقرأ سبب مجيئى ،
واستجب لمطلبى فوراً .

فرديناند : سأفعل ذلك يا سيدتى ، إن عرفته فوراً .

الأميرة : سوف تتمنى رحيلى فوراً ،
فلو أنك استبقيتنى لحنثت بقسمك .

بيرون : ألم أرقص معك مرة فى برابانت[1] ؟

روزالين : ألم أرقص معك مرة فى برابانت ؟

بيرون : نعم ، أنا متأكد من ذلك .

روزالين : سؤالك إذن فى غير محله .

بيرون : بديهتك سريعة فاكبحيها .

روزالين : أنت الذى لكزتها بأسئلتك .

بيرون : ذكاؤك ملتهب . ذكاؤك راكض بغير زمام ، ولن يلبث أن يكل

روزالين : ولن يكل حتى يلقى براكبه فى الرغام .

بيرون : كم الساعة الآن ؟

روزالين : الساعة التى يجب أن يسأل عنها الحمقى .

بيرون : والآن ، بورك فى قناعك .

روزالين : بل بورك فى الوجه الذى يخفيه .

بيرون : وليأتك كثير من العشاق .

روزالين : آمين ، على ألا تكون أنت منهم .

---

(١) Brabant = برابانت .

بيرون : إذن سأنصرف .

فردیناند : يا سيدتى ، إن أباك يقول هنا
بأنه قد أدى مائة ألف كراون ،
وهى لا تزيد على نصف ما أنفقه أبى فى تمويل حروب أبيك .
فاعلمى إذن أن هذا المال لم يصل إلى يد أبى ،
فإذا سلمنا أنه أخذه أو أننى أخذته —
وأقول هذا لأن أحداً منا لم يأخذه —
فإنه يبقى إذن مائة ألف أخرى لم يتم أداؤها لنا .
وهى التى أخذنا نصف ولاية آكويتين ضماناً لها ،
وإن كانت آكويتين لا تساوى كل هذا المال .
فإذا شاء أبوك الملك أن يرد لنا
ذلك النصف الآخر الباقى فى ذمته ،
نزلنا له عن حقنا فى آكويتين ،
وتعاهدنا على الصداقة مع جلالته .
ولكن يبدو أنه لا ينوى
أن يفعل من ذلك شيئاً ،
فهو هنا يطلب رد مائة ألف كراون ،
ولا يعرض الوفاء بمائة ألف كراون

مقابل استرداد حقه فى آكويتين ،
وهى ولاية كم نحب أن ننزل عنها
وأن نسترد المال الذى أقرضه أبى لأبيك
بدلا من آكويتين هذه الممزقة على هذا الوجه .
فيا أيتها الأميرة العزيزة ! لو أن أباك لم يتجاوز حدود
العقل فيما يطلب ،
لتجاوزت أنا حدود العقل
فيما أعطى إكراماً لجمالك ،
لتعودى إلى بلادك فرنسا راضية مرضية .

الأميرة : إنك تسىء إلى أبى إساءة بالغة ،
وتسيء كذلك إلى سمعتك ،
حين يبدو منك أنك تنكر أخذ المال
الذى رد إليك بأمانة تامة .

فرديناند : بل أؤكد لك أنى ما عرفت بذلك ،
ولو أقمت الدليل على ما تقولين
لأعدت إليه ماله أو أعدت إليه آكويتين .

الأميرة : ونحن نأخذك بوعدك : أنت يا بوييت تستطيع
أن تبرز الوثائق التى تثبت وفاءنا بهذا المال
لموظفى أبيه الملك شارل ، المعينين لهذا الغرض .

فرديناند : إلىّ بالدليل .

بوييت : أمهلني يا مولاى ، إن الأوراق
التى تثبت هذا وسواه لم تصل بعد .
غداً تراها .

فرديناند : وأنا أكتفى بهذا . وحين نلتقى
سوف أقبل كل ما تعرضين من حجج ؛
وإلى أن يأتى الغد ،
اقبلى منى كل ترحاب يليق بشخصك الكريم ،
كما يقضى الشرف وبما لا يخدش الشرف .
لن تدخلى يا سيدتى الجميلة باب قصرى ،
بل سيكون استقبالك هنا خارج الدار ،
بحيث ترين أنك ساكنة فى قلبى ،
وإن كنت قد حرمت السكن فى دارى .
وإنى لأطمع فى عفوك فأنت صاحبة نفس خيرة وعقل راجح .
الوداع إذن ، وغداً سوف نزورك مرة أخرى .

الأميرة : أوتيت أحسن الصحة وأبهج الأفكار ياصاحب الجلالة!

فرديناند : وأنا أتمنى لك أينما حللت كل ما تتمنينه لى .

(يخرج)

بيرون : وأنا أسكنك فى قلبى يا سيدتى .
روزالين : إذن فأرنى مسكنى ،
فإنه يسرنى أن أراه .
بيرون : ليتك سمعت أنينه .
روزالين : أهو مريض ؟
بيرون : فى الشغاف وفى النياط .
روزالين : وأسفاه . دعه إذن يدمى
بيرون : أفى هذا شفاؤه ؟
روزالين : نعم ، فى طب الغرام .
بيرون : أتجرحينه بعينك ؟
روزالين : كلا . لابد من المبضع .
بيرون : حفظ الله حياتك
روزالين : وحفظ حياتك من طول البقاء !
بيرون : سأمضى إذن ، فعمرى لن يتسع للشكر .
(يبتعد)
دومان : كلمة واحدة يا سيدى . من تكون هذه السيدة ؟
بوييت : اسمها كاترين ، وهى وارثة دوق ألِنْسُون .
دومان : إنها سيدة نبيلة . الوداع يا سيدى .
(يخرج)

لونجافيل : أرجوك أن تستمع إلى كلمة منى ؟ ذات الرداء الأبيض ، من هى ؟

بوييت : هى امرأة ، إذا تمعنتها جيداً فى النور .

لونجافيل : ربما كانت نزقة إذا أبصرتها فى النور . أنا أطلب اسمها .

بوييت : اسمها لشخصها ، فإن طلبت اسمها طلبت شخصها .
وهذا يجللك بالعار .

لونجافيل : بنت من هى ، يا سيدى ! قل لى من فضلك .

بوييت : بنت أمها . هذا ما يقولون .

لونجافيل : عيب على لحيتك هذا الكلام .

بوييت : لا تغضب يا سيدى الكريم .
هى وارثة فالكونبريدج[1] .

لونجافيل : الآن ذهب غضبى ،
إنها آية فى الجمال .
(يخرج لونجافيل)

بوييت : ليس هذا ببعيد ، قد يكون

بيرون : وما اسم هذه السيدة

بوييت : اسمها روزالين . لحسن الحظ ؟

---

(١) فالكونبريدج = Falconbridge

بيرون : أمتزوجة هى أم غير متزوجة ؟

بوييت : متزوجة من نفسها يا سيدى ، أو شىء من هذا القبيل

بيرون : أهلا بك يا سيدى . وأستودعك الله

بوييت : اتركنى فى أمان ، مرحباً بفراقك

(يخرج بيرون)

ماريا : هذا الأخير هو بيرون . وهو السيد الطروب ذو الرأس الملئ

كلامه كله مزاح .

بوييت : ومزاحه كله كلام .

الأميرة : حسناً فعلت حين تحدثت إليه على طريقته

بوييت : كلما أمعن فى هجومه أمعنت فى صده .

كاترين : تالله لقد كنتما كشاتى رهان .

بوييت : بل كسفينتين تتحاربان .

يا حملى الصغير . ما نحن بالكباش إلا إذا طعمنا من شفتيك .

كاترين : أنتم الكباش وأنا المرعى . أهذا يضع حدًّا للمزاح ؟

بوييت : نعم إذا أطعمتنى .

(يتقدم لتقبيلها)

كاترين : مهلا ، مهلا ، أيها الحيوان الظريف .

إن شفتى ليستا كلأً مشاعاً ، ولكنهما مرعى خاص .

بوييت : خاص بمن ؟

كاترين : خاص بى وبمن ترسله الأقدار .

الأميرة : بهذا يقنع الظرفاء المهذبون ، أما الظرفاء المشاكسون
فيمضون فى النزال . لم لا تدخر هذه المبارزات الكلامية
لنافار ورجاله العلماء ، فهى هنا يساء استعمالها .

بوييت : إذا كانت فراستى لا تخطئ ، وهى قلما تخطئ فهم القلوب العاشقة
حين تجيش بالبلاغة الصامتة فتفصح عنها العيون الناطقة ،
إذا كانت فراستى لا تخطئ الآن فنافار . . . مريض .

الأميرة : وما علته ؟

بوييت : ما نسميه نحن العشاق : الحب .

الأميرة : وما دليلك ؟

بوييت : ألم تلحظيه ؟ إن كل ما له من قدرة على التعبير
قد تركزت كلها فى ناظريه فهى تفصح كلها عن هيامه .
قلبه كالياقوتة التى نقش عليها رسمك .
وهو يزهو بهذا الطابع
وزهوه يبدو فى عينيه

فتعثَّر حين حاول مسرعاً أن يسرع إلى عينه . .
بل إن حواسه الخمس تركزت كلها فى بصره
حتى لا تحس إلا أروع آيات الجمال .
بل يخيل إلىّ أن حواسه قد حبست فى عينيه
كأنها الجواهر فى قمقم من بلور تعرض على أمير
ليبتاعها ،
وقد عرضت عليك وأنت أمير مترف عابر فى طريقك ،
تناديك أن اشترينى .
ملامح وجهه ملأى بالعجائب ،
حتى لقد رأت كل الأعين من فرط ما تحملقان
مسحورتين .
أنا أعطيك آكويتين وكل ما يملك هذا السيد لو
أنك قبلته مرضاة لى قبلة الحبيب
ولسانه لا يطيق أن يحرم القدرة على النظرة كما هو
قادر على الكلام .

الأميرة : هيا بنا إلى خيمتنا ، فبوييت يميل إلى المرح .
بوييت : لكننى حين عبرت باللفظ عما تفصح عنه عيناه ،
لم أكن إلا لسان عينيه الناطق ،
فمنحته لساناً آخر أعرف أنه لا يكذب .

ماريا : أنت من تجار الهوى ، وكلامك كلام العارف الخبير .

كاترين : بل هو جد كيوبيد ، وهو يأخذ عنه أخبار الغرام .

روزالين : إذن ففينوس كانت كأمها . لأن أباها لا يعرف الغرام .

بوييت : هل تسمعن شيئاً يا بناتي الخبيثات ؟

ماريا : كلا لا نسمع

بوييت : إذن هل ترين شيئاً ؟

ماريا : نعم ، نرى طريقنا إلى الخارج .

بوييت : أنا أقف أمامكن عاجزاً

(يخرج الجميع)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(يدخل ارمادو ومث)

ارمادو : غن لى يا غلام ، واملأ مسامعى بشجو الغرام

مث : (يغنى)

دو رى مى فا صول لا سى دو

جاء الهوى يا عودى للعاشق المعمود

ارمادو : ما أجمل هذا اللحن . هيا يا فتى ، يا طرير الشباب . خذ هذا المفتاح وأطلق سراح العاشق الفلاح ، آتنى به على عجل ، فلابد أن أستخدمه فى حمل رسالة إلى محبوبتى .

مث : أتحب يا سيدى أن تنال محبوبتك برقصة فرنسية ؟

ارمادو : وكيف ذلك ؟ أتقصد أن نرقص بالفرنسية ؟

مث : كلا يا سيدى . كلا يا كامل الصفات . بل تغنى أغنية بطرف لسانك . ثم توقعها بقدميك ، ثم تذكيها برفع جفنيك إلى أعلى . وعندئذ تتنهد بأشجى الآهات

وتشقشق بأعذب النغمات . فآناً يخرج اللحن من حلقك
كأنما كنت تبتلع الغرام وأنت تتغنى بالغرام .
وآناً يخرج اللحن من خيشومك ، كأنما كنت تستنشق الغرام وأنت تشم الغرام .
أما قبعتك فأنت تميلها على رأسك حتى تصل إلى عينيك ،
وهكذا تبدو كالخيمة فوق الدكان .
ثم تعقد ذراعيك فوق صدرة بطنك النحيل كأنك أرنب يشوى على السفود ،
أو تضع يديك فى جيبك تشبهاً بالعاشق فى الصورة القديمة .
ثم إنك لا تثبت طويلا على نغمة واحدة ،
بل تبدأ كل شىء ثم تعدل عنه . هذه هى الصفات الرفيعة .
هذه هى المظاهر التى توقع فى حبائلك البنات الظريفات اللواتى لسن بحاجة إلى شىء من كل هذا ليقعن فى حبائلك .
هذه هى السجايا التى ترفع من شأن من يتصف بها .

هل سمعتم أيها السادة ؟ (١)
ارمادو : وكيف اكتسبت كل هذه التجارب ؟
مث : ابتعتها بخبرتى .
ارمادو : يا ويلاه ! يا ويلاه !
مث : لقد نسينا « حصان الملعب » .
ارمادو : أتشبه محبوبتى بحصان الملعب ؟
مث : كلا يا سيدى . فحصان الملعب مهر صغير
(جانباً) أما محبوبتك فلعلها فرس عجوز .
ولكن هل نسيت محبوبتك ؟
ارمادو : لقد أوشكت أن أنساها .
مث : يا لك من تلميذ بليد . احفظها عن ظهر قلب ،
ارمادو : بل أحفظها فى القلب ، وعن ظهر قلب أيها الغلام .
مث : وبغير القلب يا سيدى .
سوف أثبت لك كل هذه الأوضاع الثلاثة .
ارمادو : وماذا تثبت ؟
مث : أثبت لك أنى رجل إن عشت .
أثبت لك فوراً أن العشق يكون بالقلب وفى القلب
وخارج القلب .

(١) أكبر الظن أن مث يوجه الكلام هنا إلى النظارة . (المترجم) .

فبالقلب تحبها لأن القلب لا يستطيع الدنو منها .
وفى القلب تحبها لأن حبها مقيم فى قلبك .
وبغير القلب تحبها لأنك لا تستطيع أن تستمتع بها
وأنت بغير قلب .

ارمادو : أجل ، أنا هؤلاء العشاق الثلاثة فى واحد .

مث : بل أنت ثلاثة أضعاف هؤلاء الثلاثة ،
ورغم ذلك فأنت لاشىء من هذا على الإطلاق .

ارمادو : إلى بالفتى العاشق ، فلابد أن أحمله رسالة

مث : سوف تكون رسالة ملؤها الانسجام ،
فحاملها حصان يكون سفيراً لحمار .

ارمادو : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟

مث : حقًا يا سيدى ، ينبغى أن تبعث الحمار على ظهر الحصان ،
لأنه بطىء الخطو ولكنى سأنصرف .

ارمادو : الطريق قصير . هيا عجل !

مث : سيكون خطوه سريعاً كالرصاص ، يا سيدى .

ارمادو : وماذا تقصد أيها العبقرى الظريف ؟
أليس الرصاص معدناً ثقيلا بطيئاً سقيماً كئيب اللون ؟

مث : حاشا ، أقصد أنه ليس كذلك يا سيدى .

ارمادو : أنا أقول إن الخطو إذا كان كالرصاص كان بطيئاً .

مث : إن قلت هذا يا سيدى فقد تعجلت .
أتقول إن الرصاص الذى يخرج من البندقية بطىء؟

ارمادو : أنت تخفى الحقيقة بستار جميل من دخان البلاغة !
إنه يرانى مدفعاً ويعد نفسه قذيفة —
هيا إذن ، فأنا أقذف بك إلى الفتى .

مث : اطلق المدفع اطلق
(يخرج)

ارمادو : يا له من فتى حاد الذكاء، سريع البديهة ، كله خفة ورشاقة .
ألا فاسمحى لى أيتها السماء الجميلة أن أصعّد فى وجهك زفراتى .
وأنت يا قلبى الكئيب الشقى ، تجمل بالشجاعة .
ها هو ذا رسولى قد عاد .
(يدخل مث ومعه كستارد)

مث : عجيبة العجائب يا سيدى ! لقد أتيتك بكستارد مرضوض الساق .

ارمادو : أى لغز هذا ؟ أى سر ؟ تكلم ، ما أمر رسالتك ؟

كستارد : ليس لدى لغز ولا سر ولا رسالة يا سيدى . ليس فى
الجعبة بلسم .
كل ما فيها هو ورقة موز مألوفة ككل موزة .
ليس فيها رسالة . كلا ليس هناك بلسم . ليس فى
الجعبة إلا ورقة موز .

ارمادو : إن فضيلتك ترغمنى على الضحك ،
وغباوتك تغضبنى ، إن رئتىّ تعلوان وتهبطان
فلا يسعنى إلا الابتسام ، وما أسخف الابتسام .
عفواً يا إلهى ! إن هذا الجهول
يحسب البلسم رسالة والرسالة بلسماً .

مث : وهل يحسبه العارفون شيئاً آخر ؟ أليست الرسالة بلسماً
وسلاماً .

ارمادو : كلا يا غلام . إنها مقطوعة أو حديث
يوضح الغامض فيما سبق قوله .
خذ مثلا قولنا :
القرد والنحلة والثعلب ،
ثلاثة كانوا ، فلا تعجبوا .
أن الخلاف بينهم مستحكم .
هذه هى الصورة . والآن دعنى أدلك على ما تتضمنه ؟

مث : بل دعني أنا أدلك على ما تتضمنه . أعد على الصورة .
ارمادو : القرد والنحلة والثعلب ،
ثلاثة كانوا ، فلا تعجبوا ،
أن الخلاف بينهم مستحكم
مث : حتى أتت إوزة تسترحم[1] .
عندئذ عاشوا على وفاق كأنهم زوجان من عشاق .
والآن دعني أعيد عليك الصورة ، ثم ردد أنت الختام الذي أضفته أنا .

القرد والنحلة والثعلب .
ثلاثة كانوا ، فلا تعجبوا
أن الخلاف بينهم مستحكم .
ارمادو : حتى أتت إوزة تسترحم
عندئذ عاشوا على وفاق . كأنهم زوجان من عشاق .
مث : هذه نهاية طيبة لأنها تختتم بالإوزة .
أتريد المزيد من هذا القريض .
كستارد : أرى أن الغلام يستغفله . إن الأوزة لا تصلح موضوعاً للشعر .
إذا كانت الإوزة سمينة فقد أخذت بحقك يا سيدى .

(١) تصرف المترجم قليلا حداً فى المعنى ليوجد للبيت وزناً فيؤثر كالأصل .

إن استغفال المغفلين لا يقل براعة عن اللعب بالبيضة
والحجر .
نعم ، إن الخاتمة طيبة ، لأن الإوزة سمينة . سمينة
يا سيدى .

ارمادو : تعال هنا . تعال هنا . كيف بدأ هذا الجدل

مث : بدأ حين أخبرتك أن التفاحة قد رضت ساقها ،
فسألتنى أن أدلك على خاتمة هذا الكلام .

كستارد : وطلبت أنا أوراق الموز . وهكذا بدأت الجدل ،
ثم أضاف إليه هذا الغلام الخاتمة الطيبة
فجاءك بالإوزة التى ابتعتها ،
وهكذا انفضت السوق

ارمادو : ولكن خبرونى كيف انشقت التفاحة فى عظم ساقها .

مث : سأشرح لك الأمر شرحاً معقولا[1]

كستارد : أنت تحس به يا مث ، دعنى أتولى أنا الخاتمة .
أنا تفاحة لها نضارة .
تحبنى النساء للعصارة
سعيت ذات يوم خلف غادتى ، أطلب منها متعة كعادتى
وعندما وصلت قرب بابها سقطت لاهثاً على أعتابها

---

(١) فى الأصل Sensibly ولكن كستارد يفهمها بمعناها الفرعى وهو الإحساس .

وهكذا تشققت تفاحتى(١)

ارمادو : لن نعود إلى الكلام فى هذا الموضوع .

مث : حتى تعود إلى قصبة الساق مادتها .

ارمادو : بحق مريم العذراء يا كستارد لأحررنك .

مث : إنه يقصد أنه سيزوجنى(٢) عاهراً : إنى أشم فى هذا سوء الخاتمة .
وأنتظر أن تخرج منه إوزة كتلك التى خرجت فى الأغنية

ارمادو : أقسم لك بروحى الطيبة أنى سأطلق سراحك ،
وأحررك من رقك . فقد كنت حبيس الجدران ،
مقيداً مغلولا ، أسيراً .

كستارد : هذا صحيح . هذا صحيح .
والآن ستحررنى وتطلق سراحى .

ارمادو : نعم سأهبك الحرية وأعتقك من ربقة الشقاء
ولن أفرض عليك فى نظير هذا إلا شيئاً واحداً :
أن تحمل هذه الرسالة إلى الفتاة الريفية جاكنيتا .
وليكن هذا جعلا أكافئك به .

---

(١) تصرف المترجم قليلا لبزن الأبيات ويحافظ على رونق الأصل .

(٢) كانت العادة أن يستبدل بلفظ Mary فى القسم لفظ Marry من قبيل الاحترام ومن هنا جاءت التورية فقد فهم كستارد أو تظاهر بأنه فهم اللفظ على أنه زواج .

لأن أقوى حارس يسهر على شرفى هو أنى أكافئ أتباعى.
هيا ، اتبعنى يا مث .

(يخرج)

مث : أنا أتبع سيدى كما تتبع النتيجة المقدمة . الوداع
يا سنيور كستارد .

كستارد : الوداع يا نحيل الخصر ! الوداع يا خفيف اللحم !
الوداع أيها اليهودى الظريف !

(يخرج مث)

فلأبحث الآن عن هذا الجعل .
الجعل ؟ وما الجعل ؟ إنها كلمة ضخمة يراد بها
الأجر ، بل الأجر البخس .
فهو إذن يريد أن يعطينى جعلا بخساً .
أقول ما ثمن هذا الشريط ؟ فلس واحد .
ولكنه يجيب « سأعطيك عنه جعلا» . جعل ! جعل!
يا لها من كلمة ضخمة ! تسمعها فتحسب أنك أخذت
جنيهاً ذهباً .
كلا ، كلا ، لن أبيع بهذه العملة أو أشترى .

(يدخل بيرون)

بيرون : يا خادمى الطيب ! مرحباً بك .

كستارد : قل لى يا سيدى : كم شريطاً ورديًّا
أستطيع أن أشترِيه بجعل ؟
بيرون : وما الجعل ؟
كستارد : ثلاثة دراهم يا سيدى .
بيرون : تستطيع إذن أن تشترى حريراً بثلاثة دراهم .
كستارد : أشكر سيدى . وأتركك فى حفظ الله .
بيرون : مهلا ، أيها العبد ! سأكلفك بعمل .
فإذا أردت أيها الوغد الطيب أن تكسب حبى
فاقض لى حاجة واحدة أرجو أن تقوم بها .
كستارد : ومتى تريد قضاءها ؟
بيرون : عصر اليوم .
كستارد : حسناً يا سيدى ، سوف أقضيها لك . وداعاً .
بيرون : ولكنك لا تعرف ما هذه الحاجة .
كستارد : سأعرفها بعد أن أقضيها .
بيرون : بل لابد أن تعرفها أولا أيها اللعين .
كستارد : سأعود إلى سيدى غداً صباحاً .
بيرون : ولكن حاجتى يجب أن تقضى عصر اليوم .
استمع إلى أيها اللعين . الأمر بسيط
وهو أن الأميرة سوف تأتى إلى هذه الحديقة للصيد ،

وفى معيتها سيدة ظريفة
اسمها من أجمل ما تنطق به الألسنة ،
فهم يسمونها روزالين . سل عن هذه السيدة
وضع فى يدها البيضاء هذا الخطاب المختوم .
خذ هذا مكافأة لك . هيا انصرف .

كستارد : ما أجمل هذه المكافأة . نعم ، المكافأة خير من الجعل ، خير منه بأحد عشر بنساً ودرهماً فوقها ما أطيب هذه المكافأة .
سوف أحمل رسالتك يا سيدى . سأنفذ كل شىء بمنتهى الدقة .
تبًّا للجعل ولتحيا المكافأة .

بيرون : واها لى ! إنى عاشق بحق !
أنا الذى كنت حرباً على الحب ،
أنا المنتقم من كل عاشق متأوه .
أنا الذى كنت أترصد للغلام كيوبيد ترصد الناقد ،
بل ترصد الشرطى الذى يسهر الليل ليذب اللصوص .
أنا الذى لم يكن يطاولنى أحد فى كبريائى !
لقد أصبحت ذليلا أمام هذا الغلام
المعصوب العينين الكليل البصر الكثير الآهات ،

هذا الصغير الكبير والقزم العملاق كيوبيد .
رب القوافى التى تدبج فى نجوى الغرام ،
ومولى العشاق اليائسين الضارعين ،
الملك المتوج فى دولة الزفرات والأنات ،
سيد المتسكعين الخاملين والعابسين الساخطين ؛
أمير النساء وملك الرجال ، وهو القائد الأعلى لعسس الآداب !
واحر قلباه ! لقد أصبحت ضابطاً فى جيش كيوبيد .
أزدان بألوانه كأننى الطوق الملون فى يد مهرج ،
يا للمنكر . أيقع مثلى فى شراك الغرام .
أيخطب مثلى ود النساء، أيبحث مثلى عن زوجة ،
وما الزوجة إلا التى لا تنفك تفسد وتطلب الإصلاح كالساعة الألمانية ،
ومع ذلك فهى لا تنصلح أبداً :
إن تركتها تضبطك اعوج سيرها ، ولابد من ضبطها حتى تستقيم !
بل أفظع من كل هذا أن أخون العهد ،
ومن هؤلاء البنات الثلاث لا أتيم إلا بأسوئهن جميعاً .
الغانية اللعوب طلعتها شاحبة وجبينها ناعم كالمخمل ،

وفى وجهها استقرت كرتان من القار الأسود مكان
العينين .
أجل ، بنت تعرف طريقها إلى الفراش
ولو كان حارسها كيوبيد يريد أن يطلقه على أرجوس[1] .
وهأنذا تذهب نفسى حسرات من أجلها !
وهأنذا أفتش عنها ! وأتمناها لنفسى ،
وامصيبتاه ! إنه وباء لأنى لم أعبأ لصولته هذه الصغيرة
الرهيبة الجبارة .
فلسوف أحب : وأنظم القريض ، وأملأ الدنيا بالزفرات .
سوف أصلى لها ، وأعرض قلبى عليها ، وأرسل فى حبها
الأنات .
وإذا كانت أبخس فلاحة تجد من يبثها نجوى الغرام ،
فمن حق السيدة العظيمة أن تجد العاشق الولهان .

(١) أرجوس حارس إيود ، ويقال عنه إن له مائة عين .

الفصل الرابع

المنظر الأول

(تدخل الأميرة وماربا وكاترين وروزالين وبوييت ونفر من النبلاء والأتباع وحارس الغابة)

الأميرة : أكان الملك هو هذا الذى شاهدته
يلكز جواده لكزاً عنيفاً ليصعد به التل صعب المرتقى ؟
الحارس : لا أدرى ، ولكنى أرجح أنه لم يكن الملك .
الأميرة : أيًّا كان ذلك الراكب ، فقد بدا أنه يجيد الركوب .
اسمعوا يا سادتى سوف نقضى اليوم ما جئنا من أجله ،
ثم نعود يوم السبت إلى فرنسا .
والآن يا صديقى الحارس ،
دلنا على الشجيرة التى نختبئ وراءها لنصطاد .
الحارس : هاهنا . عند حافة ذلك الحرج ،
فهو أجمل مكان لأجمل رماية .
الأميرة : وأنا أحمد الله على جمالى فأنا رامية جميلة
ولهذا تنطلق منك أجمل الألفاظ .
الحارس : عفواً يا سيدتى . أنا ما قصدت إلى هذا .
الأميرة : ما هذا ؟ أتمدحنى ثم تعدل عن مدحى .

ألا ما أقصر أجل فخرى ! ألست جميلة . واحسرتاه !
الحارس : بلى يا سيدتى أنت جميلة .
الأميرة : لا . لا . لا تصفنى بعد الآن .
فحيث لا يوجد الجمال فإن الثناء لا يصلح الوجه ،
وأنت يا مرآتى الصادقة ! خذ هذا نظير صدقك ،
وإذا جوزى قبيح الكلام طيب الجزاء كان هذا أكثر مما يستحق .
الحارس : بل كل ما تملكين جميل .
الأميرة : انظروا . انظروا ! هكذا خلص أن جمالى سيصونه جميل الصفات !
هكذا اقتحمت الزندقة دولة الجمال ،
ولا غرو فنحن نعيش فى عصر زنديق !
إلىّ بالقوس . إن الرحمة تنطلق لتقتل ،
فإن أصابت الهدف قالوا : أساءت
وهكذا أحتفظ بقدرى فى هذه الرماية :
فإن لم أصب فريستى ، فذلك لأن الرحمة تأبى على أن أصيبها .
وإن أصبتها ، فذلك لأنى أحب أن أظهر مهارتى ،
لا كلفاً منى بالقتل ، ولكن طمعاً منى فى الثناء .

وهذا بلا جدال ما يحدث فى بعض الأحايين .
فطالب المجد يخضب نفسه بالجرائم النكراء .
وذلك حين تستهوينا الشهرة والإعجاب ،
وهما شيئان عارضان ، فتجدنا نخنق فى سبيلهما نداء القلب .
أو ليس هذا ما أفعل أنا الآن حين أسعى إلى سفك دم هذا الغزال البرىء
لا لشىء إلا لأنال إعجابكم ، فقلبى لا يريد به سوءاً .

بوييت : ومن أجل الإعجاب وحده
ألا تسعى الزوجات الناشزات إلى طلب السيادة
حين يبغين أن يسوّدن على سادتهن .

الأميرة : نعم ، من أجل الثناء وحده .
وإن علينا أن نمتدح كل امرأة تخضع لها رجلا .

(يدخل كستارد)

بوييت : ها هو ذا مواطن فى الجماعة قادم علينا .

كشتارد : طاب مساؤكم جميعاً .
من منكن رأس هذه الجماعة ، يا سيداتى ؟

الأميرة : ستعرفها يا فتى لأن الأخريات
بغير رؤوس

كستارد : من أكبركن ؟ من أعلاكن ؟

الأميرة : أكبرنا أسمننا ، وأعلانا أطولنا .

كستارد : إذن فهى أسمنهن وأطولهن ! هذه هى الحقيقة ، والحقيقة هى الحقيقة .
لو كان خصرك يا سيدتى نحيلا كعقلى
لوجدت زنار هؤلاء البنات فى حجم خصرك .
ألست السيدة الأولى هنا ؟
أنت أسمن الموجودات .

الأميرة : ماذا تبغى ، يا سيدى ؟ ماذا تبغى ؟

كستارد : معى رسالة من السيد بيرون موجهة إلى سيدة تدعى روزالين .

الأميرة : هات الرسالة . هات الرسالة . إن صاحبها من أصدقائى المخلصين .
تنح قليلا أيها الرسول الكريم . وأنت يا بوييت تتقن التقطيع ،
فافتح لى هذه الرسالة . هيا افتحها .

بوييت : خادمك المطيع .
إن هذه الرسالة قد ضلت السبيل فهى لا تخص أحداً هنا ،

بل هي مكتوبة لجاكنيتا .

الأميرة : فلنقرأها . أقسمت أن نقرأها .

اكسر الشمع واستمعوا جميعاً .

بوييت : (يقرأ) : « أقسم بالسماء إن جمالك جمال ليس فيه جدال .

الحق أنك فاتنة ، والحقيقة أنك حلوة .

بل أنت أجمل من الجمال وأفتن من الفتنة وأحلى من الحلاوة .

بل أنت أحق من الحقيقة . فارحمى عبدك البطل ،

إن ملكاً كريماً شهيراً يدعى « كوفتوا[1] »

ألقى بصره على متسولة شريرة لاشك فى وضاعتها تدعى زينولوفون ،[2]

فحق فيه القول المأثور : أتيت ورأيت وغلبت ،

وشرحها بلغة الدهماء ، (ويا ويلنا من جهالة الدهماء ومن وضاعة الدهماء)

أقول تفسيرها أنه أتى ، فرأى ، فغلب ،

أتى واحد ، ورأى اثنين ، وغلب ثلاثة .

---

(١) كوفتوا Cophetua .

(٢) زينولوفون Zenelophon

فمنذا الذى أتى ؟ هو الملك .
ولماذا أتى ؟ أتى ليرى . ولماذا رأى ؟ رأى ليغلب ثم إلى
من أتى ؟ أتى إلى متسولة .
وماذا رأى ؟ رأى المتسولة . وعلى من استولى ؟ استولى على
المتسولة .
والنتيجة إذن هى الانتصار . انتصار الملك .
وهكذا أثرى الأسير . ومن الأسير هنا ؟ هو المتسولة .
بهذا وصلنا إلى قمة المأساة ، وهى الزواج . مأساة من ؟
أمأساة الملك ؟ لا بل مأساة الطرفين . اثنان فى واحد
وواحد فى اثنين .
وأنا هذا الملك لأنى عظيم مثله ،
وأنت هذه المتسولة بدليل وضاعتك فهل آمرك أن
تحبينى ؟ لو أردت لفعلت .
هل أغتصب حبك ؟ إن شئت لاستطعت .
هل أستجدى حبك ؟ نعم . هذا ما أنا فاعله .
وماذا ستجنين بهذا التبادل ؟ ستستبدلين بالأسمال ،
غالى الثياب . وبالأشياء الدنيئة الألقاب العالية
وتعطينى نفسك فأعطيك شخصى . وأنا فى انتظار
ردك ، ألوث شفتى بقدميك

وأنجس عينى بالنظر إلى صورتك ، وأدنس قلبى بكل
قطعة من جسدك .

ودمت لك المحب الساهر على خدمتك .

دون أدريانو دى أرمادو

« حاشية » : « وهكذا تسمعين زئير الهزبر ،
وهو يهجم عليك أيها الحمل ليفترسك . . .
ولكن ملك الوحوش يتخاذل أمامك فى خضوع ،
فإذا هو يلاعبك بدل أن يطاردك .
فإن قاومت فلن يكون منك أيتها البائسة إلا طعاماً
يلتهمه فى سورة غضبه ، وعشاء يحمله معه إلى عرينه . »

الأميرة : أية ريشة هذه التى خطت هذه الرسالة ؟ لابد أن يكون رجلا أحمق
يعلن عواطفه كما تعلن الراية عن مهب الريح . هل سمعتم أجمل من هذا الكلام .

بوييت : لقد خدعنى كثيراً ، ولكنى أذكر هذا الأسلوب .

الأميرة : لو أنك نسيته لكانت ذاكرتك ضعيفة حقاً . فقد ذكرته منذ قليل .

بوييت : إن أرمادو هذا رجل إسبانى يقيم هنا فى البلاط ،

وهو رجل غارق فى الأوهام يطلب بلاط الملوك ليرضى
غروره ،
إنه أضحوكة الأمير ورفقائه فى الدرس .

الأميرة : لى معك كلمة يا فتى .
من أعطاك هذا الخطاب ؟

كستارد : قلت لك إن سيدى أعطانى إياه .

الأميرة : وإلى من أمرك بتسليمه ؟

كستارد : هذا خطاب من سيدى إلى سيدتى

الأميرة : من أى سيد إلى أية سيدة ؟

كستارد : من سيدى الكريم النبيل بيرون
إلى سيدة فرنسية يسميها روزالين .

الأميرة : لقد أخطأت فى تسليم الخطاب . هيا بنا ننصرف أيها
السادة .
تعالى يا حبيبتى . اخفى هذا الأمر ، فسوف يأتى دورك
عما قريب .

بوييت : من الرامى ؟ من الرامى
(تخرج الأميرة وحاشيتها)

روزالين : أتحب أن أعلمك كيف تعرفه ؟

بوييت : أجل ، يا منبع الجمال

روزالين : الرامى من بيده القوس .
أخطأت الهدف .
بوبيت : إن سيدتى قد خرجت لتصطاد القرون .
فإن تزوجت فسوف تنبت هذا العام من القرون قرون
صغيرة ؛ قبلما يحل الموعد .
لقد أجدت الإصابة !
روزالين : إذن فالرامى أنا .
بوبيت : ومن غزالك؟
روزالين : إذا أحطنا بطول القرون ، فخير لك أن تبتعد عن مرماى .
لقد أصبت حقًّا .
ماريا : إذا مضيت فى نزالها يا بوبيت ، فسوف تصيبك فى مقتل.
بوبيت : ولكنى أصبتها فى أسفل . هل أصبتها الآن ؟
روزالين : هل أبدأ الهجوم بمثل قديم كان كثير التداول
حين كان بيان[1] ملك فرنسا غلاماً صغيراً ،
وهو ذو صلة بإصابة الهدف .
بوبيت : أرد عليك بمثل لا يقل عنه قدماً كان كثير التداول
حين كانت جوينيفير ملكة بريطانيا بنتاً صغيرة .

(١) بيان Pepin
(٢) جوينيفير Guinever

وهو ذو صلة بإصابة الهدف .

روزالين : يا صاحبي لن تلمسه
لن تلمسه ، لن تلمسه ، لن تلمسه .
(تخرج)

بوييت : إذا لم أستطعه ، لم لم أستطعه ، لم أستطعه
لم أستطعه ، فإن غيرى يستطيع .

كستارد : الحق أقول : ما أظرف هذا الكلام . فكلاهما أدرك القصد !

ماريا : هدف عظيم ورماية بارعة ، فكلاهما أصاب .

بوييت : نعم ، إنه هدف ، فلنستهدف الهدف . إن سيدتى
تقول إنه هدف .
فليت فى الهدف مسماراً يثبته حتى نسدد السهم إليه إذا أردنا .

ماريا : أراك ابتعدت عن الهدف نحو اليسار . أجل . يدك خرجت على المدار .

كستارد : هذا صحيح . إذا لم يقترب الإنسان من الهدف فلن يصيب المسمار الذى فى وسطه .

بوييت : وإذا كانت يدى قد خرجت عن المدار فلابد أن يدك قد دخلت فيه .

كستارد : إذن ستفوز عليك السيدة إن هى أصابت المسمار ففلقته ؟

ماريا : كفى . كفى . إن كلامك يخرج عن حد الأدب . إن شفتيك قد أخذتا تتلوثان .

كستارد : إنها أقوى منك فى رماية المسامير . لاعبها إذن بالكرة .

بوييت : أخشى كثرة الاصطدام . طاب مساؤك أيتها البومة الطيبة .

(يخرج بوييت وماريا وكاترين)

كستارد : أقسم أن هذا خادم ريفى ! يا له من مهرج ساذج !
يا إلهى ! يا إلهى ! لقد أخرسناه ، أنا والسيدتان .
حقًا ما أمتع هذه النكات ! نعم ما أمتع هذه الفكاهة
الرخيصة حين تنساب فى لطافة ،
بل فى قذارة ، بل فى دعارة ، وتصيب الهدف .
ثم هناك أرمادو ، وهو رجل أمتع من المتعة !
تنشرح له العين حين تراه يختال أمام سيدة حاملا مروحتها !
بل حين تراه يقبل يده بدلا من أن يقبل يدها . نعم
أقسم إنه منظر يشرح الصدر .

ثم هناك تابع أرمادو . إنه كتلة من غباء !
أيتها السماء ! بل هو حشرة تافهة يتفطر لها قلبي !
سولا ، سولا

(يسمع من الداخل صوت من صراخ الصيد والقنص)

(يخرج كستارد)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

(يدخل هولوفرنيز والقس ناثانيل ودل)

ناثانيل : الصيد بلا جدال رياضة التقوى والصلاح ،
يباركها الضمير الذى يخاف الله .

هولوفرنيز : كانت الغزالة الصغيرة كما تعلم غاية فى القوة والنشاط
ناضجة كأنها التفاحة تتدلى كالجوهرة من أذن الجوزاء ،
والجوزاء هى الجواء ، والجواء هى الفضاء ،
والفضاء هو السماء ، ثم تسقط سريعاً سقوط التفاحة
البرية على وجه البسيطة ،
أعنى التربة أو الثرى أو الأرض .

ناثانيل : حقاً يا أستاذ هولوفرنيز إن الصفات التى تسوقها
صفات جميلة
لأنها متعددة وأقل ما يقال فيها إنها تليق بالعلماء .
ولكنى أؤكد لك أن القنيصة لم تكن غزالة صغيرة بل
ظبياً فحلا كامل النماء .

هولوفرنيز : تا لله يا سيدنا ناثانيل لا أصدقك .

دل : لم تكن هي تالله ، بل كانت ظبياً أحمر عمره سنتان .

هولوفرنيز : هذا كلام يدل على الجهل المطبق .
ومع ذلك فهو لون من السفسطة ساقه صاحبه« من باب »
أجل من باب التفسير ، أى كما يقول الأولون من باب
المعارضة ،
أو على الأصح من باب الفيهقة لإظهار علمه الغزير .
فهو يتشدق بقولى « تالله » فى وصف الغزالة ،
وهو الأمى العاطل من كل علم أو تربية أو دربة
أو حلية مما يتحلى به الإنسان
أو صقل أو تهذيب أو تشذيب .

دل : أنا قلت لم تكن « تالله » غزالة ، بل كانت ظبياً أحمر
عمره سنتان .

هولوفرنيز : هذه بساطة مضاعفة ضعفين ،
فهى بساطة أس اثنين . أيتها الجهالة الضارية
ما أبشع منظرك !

ناثانيل : اعذره يا سيدى ، فهو لم يطعم بثمار العلم التى تجنى من
صفحات الكتب ،
وهو لم يزدرد الورق ولم يجرع الحبر إذا صح هذا التعبير .
فعقله إذن خاو . وما هو إلا حيوان أعجم

لا يحس شيئاً إلا بأعضائه القليلة الإحساس .
وهذه الأشجار العقيمة التى لا تطرح ثماراً نراها أمامنا
لنشكر الله على ما حبانا به ،
نحن أهل الذوق والشعور . من نعمة الإخصاب
والإثمار بما يرفعنا على مثله من أهل الجهالة الأغرار .
فكما أن عالماً مثلى لا يجوز له أن يستسلم للجهل
أو للحماقة أو للغرور ،
فكذلك لا يجوز فى غر مثله أن يقبل على العلم .
ولا تجدى المدرسة نفعاً فى تأديبه .
ولكنى أقول إن كل ما هو كائن كائن للخير .
وقد قال آباؤنا الحكماء ، أكثر الناس تعصف بهم
الرياح ولكنهم يحتملون النسيم .

دل : أنتما من أهل الاطلاع ، فهل منكما من يجيب سؤالى :
مخاوق كان عمره شهراً عندما ولد قابيل وهو لم يبلغ
بعد خمسة أسابيع ، فما هو هذا المخلوق ؟

هولوفرنيز : هو ديكتينا يا صديقى دل . نعم هو « ديكتينا »
ياصديقى دل .

دل : ومن تكون « ديكتينا » ؟

ناثانيل : هذا اسم من أسماء « فيب[1] » ، أو « لونا » ، أى ربة القمر فى الأساطير.

هولوفرنيز : كان عمر القمر شهراً حين كان عمر آدم شهراً ،
ثم بلغ عمر آدم مائة من السنين
والقمر لم يبلغ خمسة أسابيع ،
والقياس ينطبق على قابيل كما ينطبق على آدم .

دل : هذا صحيح . فالأساس ينطبق على قابيل .

هولوفرنيز : رحم الله جهلك ! أنا أقول القياس
ولا أقول الأساس ينطبق إذا بدلنا الأسماء .

دل : وأنا أقول الدنس[2] ينطبق على قابيل ،
لأن القمر لا يتجاوز عمره شهراً أبداً .
وأقول كذلك إن ما قتلته الأميرة ليس غزالة بل ظبى أحمر عمره سنتان .

هولوفرنيز : أتحب يا سيد ناثانيل أن تسمع رثاء مرتجلا فى موت الغزالة ؟
أو فى موت الظبى فإذا اسمى الغزالة التى قتلتها الأميرة ظبياً

---

(١) فيب Phoebe
(٢) يريد القياس .

لأرضى غرور الجهال .

ناثانيل : تفضل يا أستاذ هولوفرنيز ، تفضل .
تفضل وامحق سفاهة السفهاء .

هولوفرنيز : سألجأ أحياناً إلى الجناس والسجع ، فهذا أسهل :
« ظفرت الأميرة بظبى ظريف وطعنته فظعن عن الحياة .
وقيل فحل فقلت مهلا . وهل يستفحل الطعن إلا إذا
استفحل الظبى ؟
وعلا نباح الكلاب فأيقظ القنيصة فى الغاب ،
وخرجت تقفز فأرداها القوس والنشاب . ولو لم تسقط
القنيصة لكان صراخ القانصين بغير جدوى .
وحين يخر الظبى جريحاً ويسقط طريحاً تراهم يثخنونه
بالجروح ويملئونه بألف قرح .
فيا ظبيى الجريح كان جرحك فريداً فأعطوك مزيداً .
كان جرحك واحداً فجعلوه ألفاً ، وهأنذا أجعل
جراحك ألف جرح وجرح ،
وما أضفت إلا جرحاً واحداً بهذه القصيدة المجروحة
يا غزالى الجريحة »

ناثانيل : ما أندر هذه القريحة !

دل . هذه ليست قريحة جريحة بل قريحة جارحة كمخالب
الطيور الجارحة .

هولوفرنيز : هذه هبة وهبتنى إياها السماء ؛ وهى آية فى البساطة .
نعم إن السماء وهبتنى روحاً حمقاء تهوى الإسراف فى
الخيال ، وتزخر بالبيان وتملؤها الصور والرسوم والأشكال ،
روحاً تفيض بالأفكار والنوازع والتقلبات .
فهذه تستولد فى بطن الذاكرة ، وتغذى فى رحم الأم
الحنون .
ثم تولد عندما تنضج ويحين الأوان .
ولكن هذه الهبة نعمة
فيمن يتقد بها ذكاؤهم وإنى لأشكر الله على هذه الهبة .

ناثانيل : وأنا أشكر الله ياسيدى لأنعمه بك، ويشكر الله معى
من أرعاهم فى إبرشيتى . فأنت تؤدب أبناءهم فتحسن
تأديبهم ،
أما بناتهم فهن يجنين بفضلك أطيب الثمرات ،
أنت المواطن الصالح فى هذا المجتمع .

هولوفرنيز : قسماً بهرقل ! إن كان أبناؤهم على فطنة فلن يحتاجوا
إلى تعليم ،
وإن كانت بناتهم على استعداد فسأعلمهن كما ينبغى .

ولكن الحكيم من ينال الكثير بالكلام القليل
ها هي ذى روح مؤنثة تلقى علينا السلام .
(تدخل جاكنيتا وكستارد)

جاكنيتا : أسعد الله صباحك يا سيدنا القس

هولوفرنيز : القس الحاذق رجل خارق . وإذا كان هنا من يجب
أن يخرق ،
فمنذا الذى يخرقه القس الخارق ؟

كستارد : هو يا أستاذى المعلم أكثرنا سكراً .
هو يا أستاذ هولوفرنيز أشبهنا بقربة النبيذ .

هولوفرنيز : القس يخرق القربة ! إن خيالك لامع ، ولكنه يلمع
فى الأوحال .
وإن فيه من النار ما يقدح الزناد . ومن الدور ما يكفى
لأن يلقى للخنازير ،
نعم هذا كلام جميل . هذا قول بارع .

جاكنيتا : يا سيدنا القسيس ، تفضل واقرأ لى هذا الخطاب
فقد جاءنى به كستارد من السيد أرمادو .
أرجوك أن تقرأه .

هولوفرنيز : قال الشاعر : « ما أسعد طلب الماء العليل حين ترعى
الماشية فى الفيء الظليل » .

ما أجمل كلامك يا منتوان(١) !
إنى لأصفك وصف الرحالة للبندقية مدينة الجمال فأردد
قول الشاعر :
« أى فينيسيا أى فينسيا! من لم يرك لم يدبج فيك مدحاً ،
ولكن من رآك كلفه جمالك الشىء الكثير » .
أى مانتوان(١) ! يا شاعر الطبيعة والجمال .
من لم يفهمك لم يتيم فيك حبًّا. دو رى مى فا صول لا
سى دو !
عفوك يا سيدى ماذا فى الخطاب ؟
بل دعنى أنشد كما أنشد هوراس من قبل :
« يا روحى . أهذا قريض » ؟

ناثانيل : أجل يا سيدى ، وهو نعم القريض .

هولوفرنيز : إذن فأنشد لى فقرة أو مقطوعة أو قصيدة . هيا يا سيدى .

ناثانيل . : « إذا علمنى الحب أن أحنث فى اليمين ، فكيف
أعاهدك على حب أمين ؟
واهاً لى فليس كل إيمان مزعزع إلا ما زكا فى معبد
الجمال وترعرع .

---

(١) منتوان Mantuan شاعر إيطالى اسمه من اسم البلد الذى ولد فيه . شهر أواخر القرن الخامس عشر وأكثر شعره فى الطبيعة .

إنى وإن كنت خئوناً لوعدى ، فسوف ترين أنى
مقيم على عهدى .

وهذه خواطرى أراها كالبلوطة الهائلة ، ولكنك ترينها
كالصفصافة المائلة .

فعاشقك يهجر من أجلك درسه وصحابه ، ويجعل من
عينيك طرسه وكتابه ،

فى عينيك من دون العيون ، اجتمع كل ما فى الدنيا
من جمال الفنون .

وإذا كانت المعرفة تميز الرجال ، فحسبى أن أعرفك
يا ذات الجمال . ١١

ومن أتقن وصف هذا البهاء ، فهو أعلم العلماء .
ومن لا يهتز لروعة هذا الجمال ، فهو من أجهل الجهال .
فأنا خليق إذن ببعض الثناء ، لأنى أقدر هذا البهاء .
فقد وضع المولى فى عينيك بروقه العجيبة ، وفى صوتك
رعوده الرهيبة :
لا دلالة الغضب ، ولكن أمارة الطرب ، فهى بروق
هادئة كالنسمات ، ورعود كأعذب النغمات. ١١
فيا ملاكا من السماء ! اغفرى خطيئة المحب التكراء !

وهى أنى أحبى جمالك الإلهى البديع ، بهذا القريض
الدنيوى الوضيع .

هولوفرنيز : لقد أخطأت الوزن
فدعنى ألقى نظرة على هذه القصيدة :
هنا الوزن صحيح أما الطلاوة والطلاقة والإيقاع الذهبى
الذى ينبغى أن يتميز به الشعر فهذه لا وجود لها .
إن « أوفيد[1] ناسو »هو سيد شعراء الغرام ، وقد سموه
ناسو لأن الناس نسوا أنه الوحيد بين الشعراء
الذى كان يشم أزهار الخيال فيعرف أيها عاطرة
ويسمع خفقات الإبداع فيعرف أيها نادرة .
أما التقليد فهو لا شىء ، إذ أن الكلب يحاكى سيده ،
والقرد يحاكى حارسه ،
والجواد المنهك يحاكى راكبه . وأنت أيتها الآنسة العذراء
أكان هذا الخطاب موجهاً إليك ؟

جاكنيتا : نعم يا سيدى ، من سيد يدعى بيرون ،
وهو فى بلاط المملكة الأجنبية .

هولوفرنيز : سألقى نظرة على العنوان : « إلى اليد الناصعة البياض
نصوع الثلوج ، يد فاتنة الفاتنات ، السيدة روزالين . »
دعينى أتفحص مضمون الخطاب مرة أخرى

---

(١) أوفيد Ovid شاعر إيطاليا الأشهر .

فغيه اسم الطرف الكاتب إلى الطرف المكتوب إليه .
وهو يقول : « وأنا خادم سيدتى المطيع فى كل رغبة
تبديها ، بيرون »
اسمع يا سيد ناثانيل . إن بيرون هذا
هو أحد أصفياء الملك ،
وهو هنا قد حرر رسالة لوصيفة فى حاشية الملكة
الأجنبية .
وقد ضلت هذه الرسالة طريقها إما مصادفة أو بفعل
فاعل .
هيا يا فتاتى الظريفة ، سلمى هذه الرسالة
إلى يد جلالة الملك ، فقد يهمه أمرها كثيراً .
هيا اخطرى وانصرفى بلا توان .
وأنا أعفيك من آداب الانصراف مع السلامة .

جاكنيتا : تعال معى يا كستارد ،
أطال الله حياتك يا سيدى .

كستارد : هيا انصرفى يا بنية .
(يخرج كستارد وجاكنيتا)

ناثانيل : لقد تصرفت فى هذا الأمر تصرف من يخشى الله .

نعم تصرفت بدافع من الإيمان الكامل . وفى هذا يقول
أحد الآباء . .

هولوفرنيز : دعنا من الآباء يا سيدى ، فأنا لا أحب التبرير الزائف.
فلنعد إلى الشعر :
هل راقتك الأبيات يا سيد ناثانيل ؟

ناثانيل : أسلوبها آية فى الإبداع .

هولوفرنيز : سوف أتعشى اليوم فى بيت والد تلميذ من تلاميذى ،
فإن شئت أن تبارك المائدة فسوف أتوسط
بما لى من حظوة عند والد هذا التلميذ
حتى أقدمك إليه فيجعلك موضع الترحيب .
وهناك سوف أثبت أن الأشعار التى قرأتها
أشعار نظمها جاهل ،
أشعار ليس فيها شىء من روح الشعر
ولا من الذكاء أو الابتداع . يسرنى أن تصحبنى .

ناثانيل : وأنا أشكرك ، فالاجتماع كما يقول المثل المأثور
هو سر السعادة .

هولوفرنيز : وهذا القول من هذا القائل بلاشك هو الكلمة الأخيرة
فى الموضوع

(مخاطباً دل) وأنا أدعوك كذلك يا سيدى ، ولن ترفض دعوتى ،
خير الكلام ما قل ودل . هيا بنا
إن النبلاء يلهون فى ألعابهم ، فلنمض نحن إلى متعتنا .
(يخرجون)

أواه ! ما أجمل عينيها ! أقسمت بهذا النور ، لولا عيناها لما أحببتها . بل لولا عيناها الاثنتان لما أحببتها.
وأنا لا عمل لى فى هذا العالم إلا الكذب ، الكذب الصريح .
نعم ، أقسم بالسماء أنى عاشق ،
وأن العشق علمنى نظم القوافى وعلم نفسى الأحزان .
وهذا بعض ما نظمت من قريض وهذا بعض ما زفرت من أحزان .
نعم ، إن لديها الآن إحدى أغنياتى : حملها المهرج
وأرسلها المغفل وتسلمتها سيدة الفؤاد .
فالمهرج حبيبى ، والمغفل أحب إلى منه ، وسيدة فؤادى أحب إلى من الجميع .
أقسمت بالدنيا وما عليها ، لست أحفل بالثلاث الأخريات أصابهن ما أصابنى .
ها هو ذا رجل قادم علىّ يحمل ورقة .
أسأل الله أن ييسر له زفراته

(ينتحى جانباً)

(يدخل الملك حاملا ورقة)

فرديناند : واها لى !

بيرون : أقسم بالسماء ، لقد أصماه السهم ! امض فى عملك
يا كيوبيد !
لقد أصبته بسهمك تحت ضلوعه اليسرى حيث يوجد
القلب .
هذه حقًّا أسرار !

فرديناند : (يقرأ) « قبلتك أعذب من قبلة الشمس الذهبية
تطبعها على ندى الصباح الذى يسيل رضابه على الوردة.
قبلتك كضياء عينيك الذى يجلو
طل الليالى حين ينهمر على خدى .
والبدر الفضى حين يسطع فى جوف البحر الشفاف
لا يدانى نور وجهك حين يخترق دموعى ويضىء حياتى .
إن سناك ينفذ من كل عبرة تسكبها عيناى ،
وما من عبرة سكبتّها إلا احتوتك ،
وجرت بك على خدى ، كأنها مركبة مطهمة الجياد .
وأنت فيها الأميرة المظفرة تسعين فى موكب أحزانى .
ولو رأيت دموعى الفياضة
لشاهدت غرة جمالك تبدو وسط أشجانى .
ولكن ناشدتك ألا تفتنى بجمالك

فتتخذى من دموعى الجامدة مرآة لك فأضطر إلى
مداومة البكاء .

فيا ملكة الملكات ! صفاتك الحسنى
لا يحيط بها عقل ولا يحصيها بيان » .

ترى كيف أطلعها على أحزانى ؟ سوف أسقط هذه
الورقة .

أيتها الأوراق الحبيبة ، خبئى الجنون . ترى من القادم ؟
(يتنحى جانباً)

من أرى ؟ لونجافيل . واعجبا ، إنه يقرأ . أصغ
يا أذنى لما يقول .

(يدخل لونجافيل حاملا جملة أوراق)

بيرون : هأنذا أرى فى شخصك مغفلا جديداً !

لونجافيل : واهاً لى . لقد حنثت بقسمى .

بيرون : ها هو ذا قادم علينا فى هيئة المزورين ، أوراقه على رأسه تعلن للناس تزويره[1]

فرديناند : أرجو أن يكون قد دخل زمرة العشاق . إننا نتآخى فى العار ، وياله من إخاء !

---

(١) كان من عادات تلك الأيام أن يعاقب المزورون بعرضهم على الناس وقد ألصقت على رؤوسهم أو صدورهم ورقة تصف جريمتهم .

بيرون : كتآخى السكير مع السكير .

لونجافيل : أأنا أول من حنث بقسمه ؟

بيرون : فى وسعى أن أطمئنك . أنا أعرف أكثر من حانثين .
وأنت الحاكم الثالث فى دولة العشاق . أنت الركن الثالث فى قبعة الهيام .
أنت العمود الثالث فى مشنقة الغرام التى يشنق عليها البلهاء .

لونجافيل : أخشى ألا يكون فى هذه الأشعار الغليظة من القوة ما يهز مشاعرها .
أى ماريا الحبيبة ! يا سيدة الفؤاد !
سوف أمزق هذا الشعر وأكتب مكانه نثراً .

بيرون : بل إن القوافى كالوشى المدبج على جورب كيوبيد ،
فلا تتلف دكان كيوبيد .

لونجافيل : لن أرسل إذن سوى هذا القريض .
(يقرأ قصيدته) : « لعينيك بيان بلاغته من السماء
فلا يقوى البشر على جداله .
أو لم تقنع عيناك فؤادى بأن يحنث فى اليمين ؟
ومن حنث بالعهد فى سبيلك فلا جناح عليه ولا يحق عقابه .

أقسمت أن أعرض عن النساء ، أما وأنت إلهة ،
فسوف أثبت أنى ما أقسمت على الإعراض عنك .
أنا أقسمت أن أعرض عن الحب الدنيوى ، ولكن حبك
سماوى .
فإن ظفرت برضاك شفيت من كل ذنوبى .
وما العهود إلا أنفاس من هواء ، وما الأنفاس إلا بخار ،
وحين تشرقين يا شمس الجمال على وجودى الأرضى
يتبخر هذا البخار وتتبخر معه عهودى .
فإن حنثت بعهدى من أجلك فلا لوم على .
فإذا حنثت بيمينى فأى أحمق لا يرى
أن من الحكمة أن يفقد عهداً ليربح فردوساً .

بيرون : هذا غرام الكبد الذى يؤله اللحم
ويجعل من هذه الحمقاء ربة ، إنها لعبادة للأصنام .
هدانا الله ، أجل ، هدانا الله ، فقد ضللنا سواء
السبيل .

لونجافيل : من رسولى بهذا الخطاب ؟ مهلا يا صاحبى
(يتنحى جانباً)

بيرون : هذه لعبة الاستخفاء ، لعبة الاستخفاء . عبث قديم
من عبث الأطفال .

هأنذا أجلس هنا كأنني نصف إله تربع وسط السماء ،
وأرقب عن كثب من عليائي أسرار الحمقى المساكين
تتكشف أمامي .
وما خفي منها كان أعظم . أيتها السماوات ! هذه أمنيتي
تتحقق .

(يدخل دومان حاملا ورقة)

إن دومان قد تبدل : أربعة من الحمقى في وقت واحد !

دومان : أي كاترين أيتها الإلهة المعبودة !

بيرون : أي دومان . أيها المغفل الدنس . .

دومان : أقسم بالسماء أن عجائب الخلد اجتمعت في عينيها الفانيتين .

بيرون : وأنا أقسم بالأرض أنها ليست خالدة بل هي جسم فان ، وإنك كذوب .

دومان : شعرها العنبري حط من شأن العنبر .

بيرون : ولو رأينا غراباً بلون العنبر لأعجبنا به .

دومان : قوامها منتصب كشجرة الأرز .

بيرون : بل أقول إنها منحنية ، وكتفها بارزة .

دومان : بهية كالنهار .

بيرون : نعم كبعض الأيام ، ولكنها أيام لا تشرق فيها شمس .

ليتنى نلت مناى .

لونجافيل : وليتنى نلت مناى كذلك

فرديناند : وأنا أيضاً ، حقق مناى يا الله !

بيرون : آمين ! استجب لهم تتحقق مناى فيهم . أليست هذه دعوة صالحة ؟

دومان : أحب أن أسلوها ، ولكنها كالحمى
تسرى فى دمى فلا تغرب عن الخاطر .

بيرون : إذا كانت كالحمى تسرى فى دمك
فالفصد يخرجها منه فى الأطباق . ألا ما ألذ هذا الخطأ !

دومان : سوف أقرأ القصيدة التى نظمتها مرة أخرى .

بيرون : وأنا سوف أشاهد الحب كيف يؤثر فى العقول .

دومان : (يقرأ أغنيته)

« ذات يوم ، وياله من يوم مشئوم
رأى الغرام فى مايو ، وهو شهر الغرام إلى أبدالآبدين ، ١
زهرة ليس لجمالها نظير ،
تتلاعب فى الهواء اللعوب .
ويتخلل النسيم أوراقها المخملية فلا تراه العيون .
فلما رأى الغرام ما كان ،
أسقمه الهوى فتمنى أن يكون كالنسيم ، ١

وهو أنفاس السماء . وصاح الغرام قائلا :
أرى النسيم يلثم خديك ،
فليت لى نصرك يا نسيم !
ولكن . واحر قلباه ! لقد أعطيت العهد
ألا أقطفك يا زهرتى من بين الأشواك .
ووأسفاه إنه لعهد غير خليق بالشباب
الذى ما خلق إلا ليجنى أطايب الحياة .
فلو أنى خنت عهدى تحية لجمالك ،
فلا تحسبى هذا ذنباً .
فلو رآك « چوف [1]» سيد الأرباب لأقسم
أن حبيبته « جونو [2] » حبشية ،
وأنكر فى هواك ألوهيته
ونزل على الأرض فى زى الآدميين . »
سوف أرسل هذه القصيدة، وأرسل معها ما هو أوضح منها
وأكثر دلالة على آلام الحرمان التى يعانيها حبى التصادق .

---

(١) چوف Jove
(٢) جونو Juno أى يراها سوداء قبيحة .

ألا ليت الملك وبيرون ولونجافيل مثلى من العشاق .
فالمثل السيىء يزيل السوء
ويمحو عار الخيانة المسطر على جبينى
ولا مجال للملامة حيث يتساوى الكل فى الصبابة الحمقاء .

لونجافيل : (يتقدم)

أى دومان ، إن حبك خال من صفات الخير
لأنك تتمنى أن تشرك غيرك معك فى شقاء الحب .
أراك شاحب الوجه ، أما أنا فلست أشك أن وجهى يحمر خجلا
لو أن مسترقاً سمعنى أهذى على هذا النحو .

فرديناند : (يتقدم)

لا تقل يا سيدى إن وجهك يحمر خجلا ، كأن حالك شبيهة بحاله .
أنت تؤنبه وذنبك ضعف ذنبه .
إن لونجافيل ينكر أنه يحب ماريا .
إن لونجافيل ينكر أنه نظم فيها الشعر
أو ضم من أجلها ذراعيه إلى صدره العاشق
ليسكت قلبه عن الخفقان .

لقد استخفيت عن الأنظار وراء هذه الشجرة
ورأيت منكما معاً ما يحمر له الوجه خجلا .
سمعت أشعاركما المشينة ، وراقبت حالكما ،
فشاهدتكما تصعدان الزفرات ورأيت فيكما كل دلائل
الغرام .
فإن قال أحدكما : « واها لى ! » صاح الآخر :
« لطفك يا الله ! »
وإن قال أحدكما: «غادتى شعرها نضار» صاح الآخر :
« وعينا حبيبتى تشعان كالبلور . »
(مخاطباً لونجافيل) ألم تقل يا لونجافيل إنك تخون
العهد راضياً لتنعم بالفردوس ؟
(مخاطباً دومان) وأنت يا دومان ، ألم تقل إن جوبتر
نفسه يخون العهد لو رأى محبوبتك ؟
لسوف يغتبط بيرون شامتاً حين يعلم
أنكما حنثتما بالقسم بعد كل هذه الحماسة .
لسوف يسخر منا أشد السخرية . لسوف يتفكه بنا
ما شاءت له فكاهته .
لسوف يرقص طرباً من فرحة النصر ويضحك ملء
شدقيه .

ولو أنني أعطيت كل ما رأيته فى هذا العالم من ثراء
لما رضيت لنفسى أن يعرف بيرون عنى شيئاً من هذا .

بيرون : هأنذا أتقدم لأعاقب المنافقين .
(يتقدم) .
ألتمس عفوك يا مولاى الكريم .
وأنت يا ذا القلب الطيب بأى حق تلوم
هؤلاء العشاق المتيمين على حبهم ؟
إن عينيك لتستعبران فتجرى منهما الدموع على الخدود
كأنها مركبات تلوح فيها الحبيبة وكأنها الأميرة فى موكب
وأنت لن تحنث فى يمين ، فهذا الحنث شىء بغيض .
تباً لهؤلاء العشاق ، وليس يحب الأغانى إلا المغنون .
ولكن ألا تخجلون ثلاثتكم من هذا الضلال المبين ؟
أنت يا لونجافيل ترى القذى فى عين دومان ،
ومولاى الملك يرى القذى فى عينك .
أما أنا فأرى الخشية فى عيونكم جميعاً .
إنى رأيت مشهداً عجباً من مشاهد الحماقة
يضج بالآهات والأنات ويفيض بالآلام والأحزان ،
وأنا فى مكانى جالس أغالب الصبر
إذ أرى الملك العظيم يتحول إلى حُشيرة ،

وهرقل الجبار يعبث عبث الأطفال ،
وسليمان الحكيم يرقص طرباً ،
أو نسطور الوقور يعبث كالغلام ،
وتيمون العبوس يقهقه للتفاهات .
أرنى يا صديقى دومان ، أين استقر حزنك ؟
وأنت يا لونجافيل النبيل : أرنى أين استقر ألمك ؟
أرنى يا مولاى أرنى مكان الداء .
ها هنا ، حول الصدر كله .
هاتوا شراباً ساخناً فيه شفاء .

فرديناند : ما أمر دعابتك يا بيرون . أهكذا تفضحنا بتجسسك ؟

بيرون : أنا لم أفضح أحداً ، بل أنا الذى افتضحت ،
لقد افتضحت . أنا الرجل الشريف
الذى يعد نكث العهود خطيئة ،
لقد افتضحت بصحبة أمثالكم من الرجال
المتقلبين تقلب القمر فى أبراجه .
لن ترونى أنظم القوافى ،
أو أمزق نفسى حسرات من أجل هذه أو تلك ،
أو أضيع من وقتى دقيقة فى تزيين نفسى .
لن أتغزل فى أى عضو من أعضاء الجسم ،

وجه أو قدم أو عين أو مشية
أو قوام أو جبين أو صدر أو خصر أو ساق .

فرديناند : مهلا ! فيم الإسراع ؟ أرجل شريف يركض هذا الركض أم لص .

بيرون . أنا أركض فراراً من الحب ، فدعني فى سبيلى أيها العاشق الولهان .

(يدخل كستارد وجاكنيتا)

جاكنيتا : سلام الله على الملك !

فرديناند . ما هذه الرسالة التى تحملين ؟

كستارد : دليل الخيانة المحققة .

فرديناند : وما تفعل الخيانة هنا ؟

كستارد : لا شيء يا مولاى .

فرديناند . إذا كانت لاتنفع ولا تضر فانصرف مع الخيانة بسلام .

جاكنيتا : ألتمس من مولاى أن يأمر بقراءة هذا الخطاب .
إن سيدنا القسيس يشتبه فيه وهو يقول إنه ينطوى على الخيانة .

فرديناند : هيا اقرأ الخطاب يا بيرون
(يقرأ بيرون الخطاب) ممن أخذت هذه الرسالة .

جاكنيتا : من كستارد .

فرديناند : ومن أخذتها يا كستارد ؟

كستارد : من السيد أدرماديو . من السيد أدرماديو ،

فرديناند : عجيب ! ماذا أصابك ؟ لم تمزق الرسالة ؟

بيرون : إنها شيء تافه يا مولاى . نعم ، شيء تافه ، ولا داعى للانزعاج منها يا مولاى .

لونجافيل : بل أرى الرسالة قد أثارته . فلنسمع إذن ما يقول .

دومان : (يجمع الأوراق الممزقة)
إنها بخط بيرون وهذا اسمه .

بيرون : (مخاطباً كستارد) أيها الأحمق ، يا ابن العاهر ، إن أمك ولدتك لتفضحنى بين الناس .
أنا مذنب يا مولاى . أجل ، أنا مذنب . أعترف بأنى مذنب ، أعترف بأنى مذنب .

بيرون : بم تعترف ؟

بيرون : إن ثلاثتكم من الحمقى ، وإنه
كان ينقصكم أحمق رابع ، هو
أنا ، لتكتمل رباعيتكم .
هذا لونجافيل ، وهذا دومان ، وأنت ، أجل أنت
يا مولاى ، ثم أنا ،
نحن جميعاً من لصوص الغرام ، فحق علينا القتل .
اصرف هذا الجمع يا مولاى أنبئك بالمزيد .

دومان : الآن تساوينا .

بيرون : نعم ، نعم ، فنحن أربعة ، نحن زوجان .
هلا انصرف هذان العاشقان ؟

فرديناند : هيا انصرفوا يا سادة .

كستارد : الشرفاء ينصرفون ، والخونة يبقون .

(ينصرف كستارد وجاكنيتا)

بيرون : أيها السادة الأحباء ، أيها العشاق الأحباء . هيا بنا نتعانق
فنحن ذوو صلة قوية كصلة الدم باللحم .
المد والجزر من طبيعة البحر ، وسمة السماء أن تكشف
عن وجهها النقاب ،
ودم الشباب لا يخضع لقانون الشيوخ .
ولسنا نملك أن نتحدى الغاية التى من أجلها ولدنا .
فليتحلل إذن كل منا من قسمه .

فرديناند : أسمع عجبا ! أكان فى هذه الأشعار الممزقة ما يفضح
عن هواك ؟

بيرون : كيف تتساءل يا مولاى ؟ أفى الناس من يرى روزالين
ذلك الملاك ، ولا يطأطئ رأسه أمامها كالعبد الذليل ،
ويعشيه سناها فيخر على الأرض ساجداً
ويقبل الرغام الخسيس تحت قدميها بنفس راضية ،

كأنه همجى من أجلاف الهند يتعبد لمطلع الشمس فى الشرق العظيم ؟
وأى عين ثابتة جارحة كعين النسر
تجرؤ على أن تشخص إلى جبينها المشرق الوضاء ،
ولا يعشيها جلال الضياء ؟

فرديناند : أى حماسة هذه التى تلهبك الآن ، وأى نشوة تلهمك هذا الكلام ؟
إن محبوبتى وهى سيدة محبوبتك ، هى البدر البهى فى علاه ،
وما محبوبتك إلا كالنجم الخافت فى فلكه ، يوشك ألا يرى له ضياء .

بيرون : إذا كان الأمر كذلك فعيناى إذن تكذبان ،
ولست إذن بيرون العارف بأسرار الجمال .
لولا محبوبتى لاستحال النهار ليلا أسحم .
وفى خدها الزاهى التقت أجمل الألوان ،
كما تلتقى فى الروض ألوان الربيع ،
أو كأنما اجتمعت الفضائل المتعددة واتحدت فى كائن واحد نبيل .

بل محبوبتى هى الكمال الذى لا نقص فيه ، وكل
ما يتمنى المرء موجود فيه .
ليت لى بلاغة الشعر العذب الحنون !
كلا . كلا . سحقاً للبلاغة الزائفة ، فهى غنية عنها .
إنما تحتاج إلى المديح بضاعة التجار ،
أما محبوبتى ، فهى فوق كل مديح ، وكل مديح
يسيء إليها لأنه يقصر عن بلوغ كمالها .
فلو أن ناسكاً هرماً أفنى مائة شتاء يتطلع فى عينيها
لارتد فى الخمسين .
فرأى الجمال يجدد العمر
ويرد الشيخ طفلا وليداً ، بل ويحيل لحده مهداً .
أجل محبوبتى هى الشمس التى يستمد منها كل شىء
نوره .

فردیناند : قسماً بالله ! إن محبوبتك لسوداء كالأبنوس .

بيرون : هل الأبنوس مثلها ؟ ألا أيها الخشب المقدس !
إن زوجة من الأبنوس هى السعادة بعينها .
أبينكم من يستطيع أن يقسم ؟
إلىّ بكتاب أقسم عليه أن كل حسناء عاطلة من
الحسن

إذا هى لم تستوح من محبوبتى كيف تسبل الطرف
لتصرع الرجال ،
وبما من وجه يتحلى بالجمال إلا إذا كان فى سوادها .

فرديناند : ما هذه النقائض ! إن السواد شارة الجحيم ،
وهو لون الليل الحالك ، ولون السجون المعتمة .
وإن الجمال الحق — لا الجمال الذى تعجب به — هو
الذى يليق بهذا التشبيه السماوى[1] .

بيرون : إن الشياطين تضلنا حين تبدو كأرواح من ضياء .
وإذا كان جبين محبوبتى يجلله السواد
فهذه شارة الحداد تلبسها حين ترى الشقراوات
يخدعن العشاق البلهاء بالأصباغ وبالشعر المستعار .
ولهذا فقد سوتها يد الله لتضفى على السواد جمالا ،
تبدل الأذواق حسب هواها ،
فنحن فى عصر يرى الزيف فى كل ما وهبته الطبيعة ،
وهكذا تصبغ الشقراء شعرها بالصبغة السوداء لتسلم
من الهجاء .
فتفتن القلوب لأنها تحاكى محبوبتى .

---

(١) المعنى هنا غامض وقد اختلف فيه المفسرون والترجمة التى أوردناها هنا مأخوذة من أحد المعانى الواردة فى طبعة آردن .

دومان : وكذلك يشبه بها ماسحو المداخن لكثرة ما عليهم من أوساخ .

لونجافيل : وغدا الفحامون من بعدها يحسبون بيضاً .

٢٦ فرديناند : وفاخر الأحباش بوجوهم البيضاء .

دومان : ولم نعد الآن بحاجة إلى الشموع لنجلو الظلام ، لأن الظلمة غدت منيرة .

بيرون : قولوا ما تشاءون ، ولكن محبوباتكم لا يجسرن على الخروج وقت المطر

لئلا تزيل الأمطار طلاءهن .

فرديناند : ليت صاحبتك تقف فى المطر ، لأنى أصارحك يا سيدى

٢٧ أنى أريد أن أجد وجهاً أبيض من وجهها لم يغسل اليوم .

بيرون : سأثبت لكم أن محبوبتى جميلة ، ولو بقيت هنا أجادلكم إلى يوم الدين .

فرديناند : إذن لن يخيفك عفريت بقدر ما تخيفك هى .

دومان : أنا ما عرفت رجلا يعتز بالقبيح كل هذا الاعتزاز .

لونجافيل : هذه مرآة محبوبتك . انظر إلى قدمى وإلى وجهها تجدهما سواء .

(يرفع حذاءه)

٢٧ بيرون : بل إن عينيك لا تصلحان

موطئاً لقدميها الدقيقتين .

دومان : خسئت يا رجل ! لو أنها مشت على عيني
لأرسلت بصري من تحت إلى فوق ورأيت أشياء كثيرة .

فردیناند : ولكن ماذا يهم هذا ؟ ألسنا جميعاً من العشاق ؟

بيرون : بلا جدال . وبهذا نكون جميعاً خائنين للعهد .

فردیناند : أذن دعونا من هذا اللغو . هيا اثبت لنا يا صديقي بيرون
أن غرامنا مشروع وأننا لم ننكث عهداً .

دومان : نعم ، نعم . أسمعنا بعض الإطراء فى هذه المعصية .

لونجافيل : أرنا السبيل بما لديك من حجج .
علمنا بعض الألاعيب التى نسفسط بها على الشيطان .

دومان : أجل ، قل شيئاً يبرئنا من يمين الزور .

بيرون : إنكم فى أشد الحاجة إلى هذا . خذوا إذن عنى الكلام
يافرسان الغرام :

تدبروا ما أقسمتم عليه أولا :
لقد أقسمتم أن تصوموا وأن تطلبوا العلم وأن تمتنعوا عن
رؤية النساء .
وهذه خيانة صريحة لدولة الشباب .
أجيبوا ، أفى وسعكم إن تصوموا ؟ إن معداتكم غضة
لا تحتمل الصوم ،

والامتناع عن الطعام يولد الأمراض .
ثم إنكم يا سادتى ، حين أقسمتم لتطلبن العلم نبذ كل
منكم كتابه فحنث كل بقسمه
فهل يمكن لأحدكم الآن أن يقبل على صحائفه وينعم
النظر فيها ويسترسل فى الأحلام ؟
ومتى كنت يا مولاى ، ومتى كنت يا دومان ، وأنت
يالونجافيل

متى كنت ترى للعلم معنى
إلا ما تقرؤه فى وجه امرأة جميلة ؟
وهذه فلسفتى التى استقرأتها من عيون النساء :
فعيون الغيد هى أس الحياة وكتبها ومجامع العلم فيها ،
وهى الينابيع التى تفجرت منها نيران بروميثيوس
سارق اللهب وواهبه لبنى البشر .
ألا ترون أن الاطلاع الدائم يشل الحيوية الدفاقة فى
مجرى الشرايين ،
كما تجهد الحركة الكثيرة والتنقل المتواصل قوة المسافر ؟
أما عن العهد الذى قطعتموه بأن تمتنعوا عن النظر
إلى النساء ،

فهذه خيانة لما خلقت من أجله العيون .

بل هى خيانة لما تعاهدتم عليه من طلب العلم .
وأين هو ذلك المؤلف
الذى يعلمنا أسرار الجمال خيراً من عيون النساء .
وما العلم إلا امتداد لأنفسنا
يوجد حيث نوجد . وإذن فنحن نرى
نفوسنا معكوسة فى عيون الغيد ،
ألسنا نرى فيها كذلك ما حصلناه من علم ؟
نعم يا سادتى ، لقد أقسمنا أن نطلب العلم
ومن أقسم أن يطلب العلم فقد أقسم أن ينبذ الكتب .
فهل وجد أحدكم فى تأملاته المملة
ما أوحى إليه بمثل هذه الأشعار الجياشة
التى استلهمتموها من وحى العيون الفاتنة ؟
وهى خير مؤدب لمن طلب غنى النفس ؟
إن كل فن ، ما خلا الحب ، يركد فى العقل ،
وحين لا يجد من يمارسه يتكشف عقمه
فلا يثمر بشىء يعادل ما نبذله من جهد مضن فى تحصيله .
أما الحب الذى تلهمنا إياه أول ما نلهم عيون الغيد ،
فإنه لا يبقى سجيناً فى العقل وحده ،

بل يسرى فى كينونتنا المتحركة
سريان الفكر السريع فى كل قوة من قوانا ،
فتتضاعف به كل قوة
وتزكو به وظائف الملكات .
فبالحب يقوى فى العين إبصارها ،
وللعاشق عين إذا تفرست فى النسر سقط كفيفاً .
وبالحب يقوى فى الأذن سمعها ،
فللعاشق أذن تتبين أخفت الأصوات
التى تعجز عن سماعها أذن اللص الذى يرتاب فى أى
صوت .
أذن تجاوز فى حساسيتها قرون القواقع ذات المحار .
وللعاشق لسان أعذب مذاقاً من خمر باخوس .
وللعاشق قلب جسور كأنه هرقل يقاتل التنين
ولا ينقطع عن تسلق الأشجار فى الجزائر السعيدة .
أجل ! العاشق ماكر كأبى الهول ،
مترنم بأعذب الأغانى كأنه قيثارة أپولو :
أوتارها من شعره . وإذا ما نطق الحب تسبح الآلهة جميعاً
فتغفو السماء على إيقاع النشيد .
وما رأينا شاعراً اجترأ على أن يمسك بقلمه لينظم القريض

حتى امتزج مداده بزفرات الغرام .
وعندئذ تسحر أشعاره آذان الهمج وتعلم الطغاة كيف
يكون الخشوع .
هذه فلسفتى التى استقرأتها من عيون النساء :
إن عيون الغيد تتلألأ على الدوام كأنها القبس
الذى وهبه بروميثيوس لبنى البشر .
وهى كتاب الحياة ومنبع فنها وعلمها
التى تكشف كل أسرارها وتحتوى كل مبادئها ويغذى
كل ما فى الوجود .
لا فضل لشىء إلا بهذه العيون .
وإذن فقد كنتم من الحمقى حين أقسمتم أن تتجنبوا
النساء ،
فإذا احترمتم قسمكم كنتم أحمق من الحمقى .
فبحق الحكمة هذه التى يعشقها كل الناس .
أو بحق الحب وهو اللفظ المحبب لكل الرجال ،
أو بحق الرجال الذين يخلقون أولئك النساء ،
أو بحق النساء اللائى يجعلن من الرجال رجالا ،
دعونا نخسر هذه الأيمان لنكسب أنفسنا ،
وإلا خسرنا أنفسنا وفاء بهذه الأيمان .

إن من الدين أن نحنث بهذا العهد ،
فبالخير تتحقق شريعة الله ،
وهل هناك خير بغير حب ؟

فرديناند : أنت إذن قديسنا كيوبيد . هيا إلى المعمعة يا جنود الغرام !

بيرون : تقدموا بألويتكم ، واهجموا عليهن أيها السادة !
أشيعوا الاضطراب فى صفوفهن وليسقطن ! ولكنى أنصحكم
أن تدخلوا هذه المعركة والشمس من خلفكم .

لونجافيل : والآن إلى الجد . دعونا من هذه الحواشى .
هل اتفقنا على أن نغازل هؤلاء البنات الفرنسيات ؟

فرديناند : وقررنا أن نقهرهن كذلك .
فلنعدّ لهن إذن شيئاً من التسلية فى خيامهن .

بيرون : فلننقلهن أولا من الحديقة إلى الخيام .
ثم نعود إلى الدار وقد أمسك كل منا
بيد محبوبته الجميلة ، وبعد الظهر
نسرى عنهن بطريف المتع

بحسب ما يسمح وقتنا وهو قصير .
ذلك أن القصف والرقص والتمثيل والأوقات الهنيئة
هى الرسل التى تتقدم موكب الحب السعيد وتنثر
فى طريقه الزهور .

فرديناند : هيا بنا ! هيا بنا ! لن نضيع لحظة واحدة
لها قيمتها إلا انتفعنا بها .

بيرون : هيا بنا هيا . من يبذر « الصاوة » لا يحصد قمحاً .
وعجلة العدالة تدور بانتظام .
ولعل فى البنات المفرطات نقمة على الرجال الحانثين .
فإذا كان الأمر كذلك فالجزاء من جنس العمل .
(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

(يدخل هولوفرنيز والسيد ناثانيل ودل)

هولوفرنيز : حسبك من غنى شبع ورى

ناثانيل : أشكر الله لك يا سيدى .
فقد كانت آراؤك على مائدة العشاء
قوية بليغة ، ظريفة دون عربدة ، فكهة دون تكلف ،
جريئة دون قحة ، ضليعة دون غرور ،
غريبة دون زندقة .
فقد كنت أتحدث منذ أيام مع رفيق
من رفقاء الملك اسمه دون أدريانو دى أرمادو ،
أو هكذا يدعى ، أو هذا لقبه

هولوفرنيز : أعرف الرجل بقدر ما أعرفك ، وهو رجل سامى الخيال ،
بات الحديث . مصقول اللسان ، طموح النظرات ،
يمشى الخيلاء :
أما سلوكه العام فهو يفيض بالغرور ويدعو إلى
السخرية ،

فالرجل مزهو بنفسه ، مسرف فى الزينة ، مفرط فى
الأناقة ، متطرف فى التكلف ،
إذا صح هذا التعبير ، مبالغ فى الشذوذ ،
يمكن أن أصفه بأنه جوّاب آفاق .

ناثانيل : هذا وصفٌ فريدٌ منتقى .
(يخرج مذكرته)

هولوفرنيز : وهو متحذلق ينسج حججه الغليظة من كلام خيوطه
دقيقة .
إنى أمقت صحبة أمثاله من المجذوبين
المسرفين فى الإغراب ، المنفرين للأصحاب ،
المولعين باقتعال الدقة ، المفسدين للهجاء
فتراهم يقولون « طبعى » حيث ينبغى أن يقولوا « طبيعى » ،
ويقولون « بدهى » حيث ينبغى أن يقولوا « بديهى » .
وتراهم يميلون « مجرى » إلى « مجرى » ،
و « مرسى » إلى « مرسى » ،
ويختصرون الكلام اختصاراً .
ويتعمدون الإغراب فيقال : « هذا جنون » ،
ويقولون : « هذه لوثة » ، ألا تفهم ، يا سيدى ؟

ناثانيل : بلى ، افهم جيداً ، ولله الحمد .

هولوفرنيز : ولم تقول أفهم جيداً ؟
قل : أفهم « بن ، فور ، بن »[١] ، فهذا ما يقوله النحاة
مع تحريف طفيف ، ولكنه يفي بالغرض .
(يدخل ارمادو ومث وكستارد)

ناثانيل : من القادم علينا ؟
هولوفرنيز : أرى رجلا يسعدنى لقاؤه .
ارمادو : يا غنام !
هولوفرنيز : ولم ينادى يا غنام ، ولا ينادى يا غلام ؟
ارمادو : السلام عليكم يا أهل السلام .
هولوفرنيز : والسلام عليك يا رجل الحروب .
مث : إنهم يقتاتون على الكلام ،
وكأنهم كانوا فى وليمة لغوية وسرقوا منها فتات الألفاظ .
كستارد : أجل . إنهم عاشوا طويلا على حثالة الألفاظ .
والعجيب فى الأمر أن سيدك لم يحسبك لفظاً فيلتهمك .
فبعض الكلمات التى يستعملها
أكثر منك طولا ، وابتلاعك أسهل
من ابتلاع جرعة من الشراب .

---

(١) بالفرنسية حذلقة "Bon; fort. bon."

مث : صمتاً ، فالناقوس بدأ يدق .

ارمادو : (مخاطباً هولوفرنيز) : يا سيد ! ألست مثقفاً ؟

مث : نعم ، نعم ، فهو يعلم الصبيان كتاب «مطالعة القرن»[1] وهو يضع على رأسه قرناً حين يعلمهم حروف الهجاء مقلوبة .

هولوفرنيز : لاء . بل هو يوزع على الصبيان القرون .

مث : ماء . هذا صوت خروف ذى قرنين لا يفقه شيئاً وهذا كل علمه فاسمعوه .

هولوفرنيز : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ أيها الإنسان التافه الذى لا وجود لك إلا مع غيرك وكأنك الحرف الساكن .

مث : وأنت آخر الحروف الخمسة المتحركة إذا أنت كررتها أو الحرف الخامس منها ! سأكررها إذا كررتها أنا .

هولوفرنيز : سأكررها ألف . واو . ياء . . ا ووو . اىىى .

مث : تماماً كالحروف والحرفان الآخران يختتمانها .

ارمادو : قسماً بأمواج البحر المتوسط ، وهى ملح أجاج ، إن هذه دعابة ظريفة . وهى لطمة سريعة من لطمات القريحة .

---

(١) هو ورقة محتوية على الحروف الهجائية والأرقام العشرة البسيطة وبعض مبادئ الهجاء موضوعة فى غلاف رقيق نصف شفاف مصنوع من قرن حيوان .

أصبته يا مث بخفة ومهارة . هذا يشرح صدرى .
هذه فكاهة صادقة .

مث : يهديها طفل مثلى إلى هرم مثله عمره قرن .

هولوفرنيز : وأين التورية فى هذا الكلام ؟

مث : فى القرون

هولوفرنيز : أنت تجادل كالطفل . هيا انصرف والعب الخذروف
بعيداً عنى .

مث : هات قرنك أعمل منه خذروفاً .
وعندئذ تجدنى أفضح عارك أمام الجميع .
تصوروا خذروفاً من قرن خروف !

كستارد : لو لم يكن معى إلا فلس واحد
لأعطيتك إياه مكافأة لك .
خذ هذا ، فهو لك .
إنه كل ما أخذته من سيدك مكافأة لى .
خذه يا ذا الذكاء الصغير .
لو أن السماء رضيت على فجعلتك ابنى فى الحرام
لجعلتنى أكثر الآباء طرباً .
إن فكاهتك مسقفة إلى آخر حد ، كما يقولون .

هولوفرنيز : أسمع لحناً فى اللغة . لا تقل مسقفة ، ولكن قل مثقفة .

ارمادو : سر أمامى أيها العالم الضليع ، ولنخرج من هذه الزمرة ،
زمرة الرعاع . ألست تعلم الشبان فى المدرسة
القائمة على قمة الجبل ؟

هولوفرنيز : نحن نسميه الكثيب ، أى التل .

ارمادو : سم الجبل ما تشاء من الأسماء .

هولوفرنيز : سأسميه ، بلا جدال .

ارمادو : يا سيدى إن الملك تعطف فأراد
أن يزور الأميرة فى خيمتها
ليحمل إليها التهانى فى أعجاز النهار ،
أى فى العصر كما يقول سفلة القوم .

هولوفرنيز : بل خير أن نقول فى أعجاز النهار ،
فهذا التعبير يا سيدى الكريم أكثر ملاءمة وانطباقاً
ودلالة على العصر . وهو تعبير منتقى بعناية ،
وأؤكد لك يا سيدى أنه حلو ومناسب . أجل ، أؤكد
لك ذلك .

ارمادو : وأنا أؤكد لك يا سيدى أن الملك سيد نبيل وأنه من
خلصائى .
نعم أؤكد لك أن الملك من أخلص أصدقائى .
أما ما يجرى بيننا سراً فلن أخوض فيه .

وإنى أرجوك أن تذكر آداب اللياقة
فتغطى رأسك العارى .
أما ما يجرى بيننا من أمور خطيرة
وأشياء هدفها جليل ومغزاها عميق فلن أخوض فيه كذلك .
ولكن يجب أن تعلم أن جلالته يغتبط أيما اغتباط
حين يريح رأسه على صدرى المسكين هذا .
ثم يعبث بأنامله الملكية بشعرى ؛ وبشاربى هذا يعبث .
ولكنى لن أخوض فى هذا يا حبيب قلبى .
أقسم بالدنيا وما عليها أنى لا أقص عليك شيئاً من نسج الخيال ،
فإن جلالته يتعطف ويختصنى بالشرف فيجعل موضع
سره فى بعض الأمور خادمه أرمادو ،
لأنه جندى باسل، ورحالة كثير الأسفار جاب أرجاء الدنيا .
ولكنى لن أخوض فى شىء من هذا .
وخلاصة القول أن الملك يريد منى أن أعرض أمام الأميرة ،
هذه الكتكوت الجميل ، مشهداً ، أى منظراً ،

أى ألعاباً بهلوانية أو ألعاباً بالنار يسر من يراها .
ولكنى أضرع إليك أن تكتم هذا السر يا حبيب قلبى .
ولما كنت أعلم أن القس وشخصك الكريم
من العارفين بهذه المسليات التى ذكرتها لك
وبكل ما يبعث البهجة فى النفس
فقد ذكرته لكى ألتمس منكما مساعدتى فى هذا الأمر .
هولوفرنيز : إذن فاعرض أمامها مشهد « الأبطال التسعة » .
اسمع يا سيد ناثانيل . إذا كان هناك مشهد يعرض فى أعجاز النهار
بغية التسلية ، نتعاون نحن فى إخراجه
أمام الأميرة بأمر الملك ومراضاة لهذا السيد الشهم
العظيم العارف بالعلوم .
فلست أرى مشهداً يصلح لهذا الغرض
خيراً من مشهد « الأبطال التسعة »
ناثانيل : وأنى لك بالرجال الصالحين لتمثيل هؤلاء الأبطال ؟
هولوفرنيز : أنت تمثل يسوع .
وأنا وهذا السيد الهمام نمثل يهوذا المكابى .
وهذا الجلف العاشق يمثل بومبى الكبير
وذلك لضخامة أعضائه .

والغلام مث يمثل هرقل .

ارمادو : عفوك يا سيدى ، فقد أخطأت .
إن مث أصغر من إبهام ذلك البطل
وهراوة هرقل أكبر منه حجماً .

هولوفرنيز : هلا استمعت إلى، إن موث سوف يمثل هرقل مصغراً،
وسوف يختنق أفعى ليدل على ذلك عندما يظهر على المسرح ،
وسأعد أنا كلمة أشرح فيها هذا الموضوع .

مث : هذه حيلة بارعة ! فإذا زمجر الجمهور غضباً صحت :
« أحسنت يا هرقل ! أنت تفتك الآن بالأفعى ! »
تلك هى الحيلة التى تجعل الخطأ يبدو جميلا .
ولكن قل من يمثل هذا ببراعة .

ارمادو : وماذا نفعل ببقية الأبطال .

هولوفرنيز : سأمثل أنا ثلاثة منهم .

مث : فأنت إذن مثلث البطولة .

ارمادو : أتسمعون رأيى .

هولوفرنيز : كلنا آذان صاغية .

ارمادو : إذا لم ينجح هذا المشهد عرضنا عليها ألعاباً بهلوانية .
أرجوكم أن توافقوا .

هولوفرنيز : لا تبتئس يا صديقى دل .
أنت لم تنطق بكلمة واحدة طول هذا الوقت .

دل : ولم أفهم كلمة واحدة مما تقولون يا سيدى .

هولوفرنيز : هيا بنا ! سوف نجد لك دوراً تمثله .

دل : سأشترك فى الرقص
أو فى أى شىء من هذا القبيل .
أو أقرع الطبل للأبطال حين يرقصون .

هولوفرنيز : يا صديقى الشريف يا أغبى الأغبياء ، هيا بنا إذن لإعداد ألعابنا .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثانى

(تدخل الأميرة وماريا وكاترين وروزالين)

الأميرة : انظرن يا حبيباتى ! إذا جاءتنا الهدايا بهذه الكثرة
فسوف نصبح من الأثرياء قبل أن نغادر هذه البلاد .
انظرن إلى ما أرسله إلى الملك العاشق :
حليه فيها سيدة سجينة بين أسوار من الماس !

روزالين : ألم يرسل مع هديته شيئاً آخر يا مولاتى ؟

الأميرة : لا شىء إلا هذه الهدية . لقد بثنى من غرامه فى شعره
بقدر ما اتسعت للملك الورقة التى أرسلها .
وهى مكتوبة على الوجهين وفى الهوامش وفى كل مكان .
وتفيض بالحب كأن كاتبها أحب أن يمهرها بخاتم
كيوبيد .

روزالين : هكذا يبلغ كيوبيد أشده ،
فقد ظل صبياً خمسة آلاف سنة .

كاترين : أجل وكان بائساً تعيساً لا يصلح لشىء إلا للمشنقة .

روزالين : لن يزول سخطك على كيوبيد يا كاترين فقد قتل
أختك .

كاترين : نعم جعلها حزينة كئيبة مهمومة ،
وهكذا ذبلت وماتت . ولو أنها كانت مثلك طائشة
تهوى نفسها اللعب والطرب
لعاشت حتى تصبح جدة .
ولعل هذه ستكون حالك فالقلب المرح يعيش طويلا .

روزالين : وماذا تقصدين ، أيتها الفأرة العزيزة ، بهذا التلميح العارض ؟

كاترين : أقصد أن لك طبعاً نزقاً فى جمال سمراء .

روزالين : أنا لى حاجة إلى معلومات أكثر مما لدينا لكى نفهم ما تقصدين .

كاترين : ستطفئين الضوء إذا بقيت على هذا الضجر .
ولهذا سأسدل على هذا الجدال ستاراً من الظلام .

روزالين : هذا دأبك . فأنت تفعلين كل ما تريدين فعله فى الظلام على الدوام .

كاترين : أما أنت فلا تفعلين هذا لأنك فتاة خفيفة العقل .

روزالين : هذا صحيح . أنا خفيفة لأنى لا أزنك .

كاترين : إذا كنت لا تزنينى ، فمعنى ذلك أنك لا تقيمين لى وزناً .

روزالين : عندى سبب كاف لذلك . لأن ما لا يلقى العناية يفر دائماً على الشفاء .

الأميرة : هذه مبارزة بارعة ، وكل منكما قد شحذت ذكاءها فأجادت .

ولكنك يا روزالين قد تلقيت مثلى امارة من امارات الغرام .
فمن ذا الذى أرسلها ، وماذا يكون ؟

روزالين : أحب أن تعرفى يا سيدتى أنه لو كان لى جمال وجهك لكان تذكارى عظيماً كتذكارك . فاشهدى إذن على هذا :
لقد تلقيت مثلك شعراً . فالشكر لناظمه بيرون .
أما النظم فصادق . ولو صدق ما يعدده من صفاتى
لكنت أجمل إلهة تخطر على الأرض .
فهو يشبهنى بعشرين ألف فاتنة .
إنه رسم صورتى فى رسالته .

الأميرة : وهل تشبهك الصورة ؟

روزالين : نعم تشبهنى كثيراً حين تصفنى ولكنها لا تشبهنى أبداً حين يثنى على .

الأميرة : يقول إن شعرك الأسود جميل كالحبر ، وهذه خاتمة سعيدة .

كاترين : يقول إن قوامك جميل كالألف رسمتها يد خطاط فى كراسة .

روزالين : احذرى ما تخطه الأقلام يا كاترين . لن أموت قبل أن أفى بدينى لك .

شقراء أنت كالحرف الذهبى ،
ولولا أن وجهك مملوء بالنقط لقلت إنك جميلة

الأميرة : هذه دعابة ثقيلة ، واللعنة على كل امرأة شريرة .
ولكن حدثينى يا كاترين ماذا تلقيت من دومان الوسيم ؟

كاترين : تلقيت هذا القفاز يا سيدتى

الأميرة : ألم يرسل الكف الأخرى ؟

كاترين : بلى يا سيدتى : وأرسل معها
ألف بيت من الشعر نظمها عاشق وفىّ فى حبه .
هى آية من آيات النفاق
دبجت فى خبث وبلاهة لا حد لها .

ماريا : وأنا تلقيت هذه الرسالة ومعها هذه الدرر من لونجافيل .
أما الرسالة فهى أطول مما ينبغى بنصف ميل .

الاميرة : رأيى من رأيك . أما كنت تتمنين
أن يكون العقد أطول والخطاب أقصر ؟

ماريا : أجل ، وإلا لما فك وثاق هاتين اليدين .

الأميرة : إن سخريتنا من عشاقنا على هذا النحو لدليل على حكمتنا .

روزالين : وهى حماقة منهم أن يشتروا هذه السخرية بذلك الثمن الغالى .

سوف أعذب بيرون هذا قبل أن أرحل من هذه البلاد .
ليتنى أعلم علم اليقين أنه وقع فى الفخ .
إذن لجعلته يتمرغ أمامى ويتضرع إلى ويطلب رضاى
وينتظر الأوان ، ويتحين الأوقات ،
ويريق فكاهته المسرفة فى قواف ليس فيها غناء ،
ويجعل من نفسه خادماً رهن إشارتى ،
ويزين نفسه لعينى لعلى أفخر به ، وما حبى له إلا حب هازل .
وهكذا أفوز عليه وأملك عليه حياته حتى يغدو ألعوبتى
التى أسخر منها وأغدو كالقضاء الذى يسيره .

الأميرة : حين يصبح العاقل إنساناً أحمق
فلن يكون أسهل منه وقوعاً فى الشباك .
فالحماقة التى تنبت من الحكمة يخالها الناس بنت الحكمة ،

وهى تستعين بالعلم وتحلى بالذكاء الطلى حماقة العلماء .

روزالين : وحين يعربد الوقار يبلغ من الدعارة
ما لا يبلغه دم الشباب المتأجج .

ماريا . وحماقة الحمقى لا تعيب صاحبها
كهذيان العقلاء الذى يستخدم
كل ما أوتيه من قوة ليثبت بالمنطق
أن فى السفاهة حكمة الحكماء .

(يدخل بوييت)

الأميرة : ها هو ذا بوييت قادم علينا ووجهه يطفح بالبشر

بوييت : أكاد أنفجر من الضحك . أين صاحبة السمو ؟

الأميرة . ما وراءك يا بوييت ؟

بوييت : استعدى ، يا سيدتى ، استعدى!
إلى السلاح ، يا بنات ، إلى السلاح ! فالهجوم يدبر
لتعكير سلامكن :
الحب قادم على استخفاء مدججاً بسلاح الكلام .
سوف تؤخذن على غرة . فاجمعن شتات ذكائكن ،
ولتتأهب كل للدفاع عن نفسها ،
أو فلتفر كالجبناء ولما تبدأ المعركة وتخفى وجهها من
فرط العار .

الأميرة : إله الصيد يصبح إله الحب ! ومن يكون هؤلاء الغزاة
المنقضون علينا ؟ أفصح يا كشاف ، أفصح .

بوريت : تحت شجرة جميز رقدتُ ،
ألتمس النعاس فى فيئها الرطيب نصف ساعة أو نحوها ،
وعندئذ رأيت الملك ورفاقه
قادمين على فقطعوا على نعاسى .
وهكذا تواريت فى حذر
بين الأحراش المجاورة ،
واسترقت السمع فوقفت على هذا الحديث الذى أرويه
لكن : سمعتهم يقولون إنهم سوف يأتون إلى هذا المكان
مستخفين .
وسوف يكون رسولهم غلام وسيم خبيث ،
يحفظ عن ظهر قلب ما حملوه من رسالة ،
وقد لقنوه كيف يؤديها بالقول والإشارة ،
« هكذا يجب أن تتكلم . وهكذا يجب أن ترفع
قامتك » .
وقد حسبوا حساب كل شىء .
حسبوا أن الغلام سيظهر فى حضرة جليلة قد تعقد لسانه .
قال الملك للغلام : « سوف ترى أمامك ملاكاً ،

ولكن لا تخش شيئاً بل تكلم بكل جرأة » .
فأجاب الغلام : « وكيف أخشاها يا مولاى . إن الملاك لا يعرف الشر ،
ولو أنها كانت شيطاناً لخشيت منها » .
وحين سمعوا ذلك منه ضحكوا جميعاً وربتوا على كتفه سروراً ،
فازدادت بثنائهم شجاعته .
وفرك أحدهم كفيه جذلا وابتسم ساخراً
وأقسم أنه ما سمع فى حياته كلاماً أجمل من هذا الكلام .
ولوح آخر ببنانه صائحاً :
« إلى الأمام . سوف ننقض عليهن ، وليكن ما يكون »
ورقص الثالث طرباً وقال :
« كل شىء يسير على هوانا . »
أما الرابع فترنح من فرط السرور ثم سقط على الأرض ،
فحذا الباقون حذوه فاستلقى كل على قفاه من شدة الضحك .
وقهقهوا عالياً حتى اغرورقت عيونهم بالدموع ،
ولم يكن هناك سبيل إلى ضبط هذا الجنون .
الأميرة : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ أهم قادمون لزيارتنا ؟

بوبيت : نعم ، نعم ، وأعتقد أنهم سيأتون
في زي الروس أو المسكوف .
ليتحدثوا إليكن وليخطبوا ودكن وليرقصوا معكن .
وسيعرض كل منهم قوة حبه على أثيرة فؤاده .
بعد أن يستدل عليها
بما قدمه إليها من هدايا العشاق .
الأميرة : أحقًّا سيعرف كل سيدة فؤاده ؟ سوف يكلف هذا العمل العشاق شططاً .
فكل منا يا سيداتي ستلبس على وجهها قناعاً .
ولن يظفر أحد منهم برؤية طلعة محبوبته ،
مهما ألح في السؤال .
إليك يا روزالين هذه الهدية ، فخذيها والبسيها
وهكذا يحسبك الملك محبوبته فيخطب ودك .
أجل ، يا حبيبتي ، خذي هديتي وأعطني هديتك .
فيحسب بيرون أني روزالين .
وأنت يا ماريا ، وأنت يا كاترين ، هيا ، تبادلا مثلنا الهدايا ،
حتى ينخدع كل عاشق بهذا التبادل ويخطئ كل محبوبته .

روزالين : هيا إذن . فلنلبس الهدايا فى مكان ظاهر .

كاترين : ولكن ما غرضك من هذا التبادل ؟

الأميرة : غرضى أن أفسد عليهم خطتهم ،
فهم لا يجدون ولكن يعبثون ليسخروا منا .
ولا قصد لى إلا أن نبادلهم سخرية بسخرية .
بهذا يعرض كل منهم غرامه
خطأ على غير محبوبته ،
فنستطيع أن نسخر من فعالهم حين نلتقى
بهم مرة أخرى بوجوه مكشوفة لنرحب بهم ونتحدث إليهم .

روزالين : وهل نرقص معهم إذا طلبوا إلينا ذلك ؟

الأميرة : كلا . لن نحرك قدماً معهم ما حيينا .
ولن نقبل منهم هذا الشعر الذى نظموه فى هوانا .
وحين يتلو كل منهم قصيدته ، سوف نشيح بوجوهنا
عنهم .

بوييت : لست من رأيك . فهذا الاحتقار
سيسحق قلب موثوينسيه ما حفظه من دوره .

الأميرة : هذا ما قصدت إليه . ولست أشك فى أن بقيتهم
لن يتقدموا إلينا إذا كف هو عن الكلام . فإذا نضب
معينه

فقد هزمته ، وإذا انتصر عبثي على عبثه فهذا أجمل عبث في الوجود .

وهكذا نجردهم من عبثهم ، أما عبثنا فهو منا ولنا .

فلنبق هنا لنسخر من هذا الهزل الذى يضمرون ،

أما هم فسيرحلون عنا يجللهم العار حين توجعهم السخرية .

(يسمع صوت نفير)

بوييت : صوت النفير . هيا البسن الأقنعة . لقد أقبل المقنعون .

(يدخل زنوج يحملون آلات موسيقية ، ويدخل موث حاملا صحيفة بها كتاب ويدخل الملك ومعيه من النبلاء فى زى جماعة من الروس المقنعين) .

مث : التحيات لأجمل من فى الوجود .

بوييت : ليس الجمال إلا جمال الأقنعة .

مث : أرى طاقة قدسية من أجمل النساء .

(توليه السيدات ظهورهن)

اللواتى سحرن بظهورهن أبصار الخلائق .

بيرون : « بعيونهن » أيها الوغد « بعيونهن » .

مت : اللواتى سحرن بعيونهن أبصار الخلائق .

إلى باب . . .

بوييت : أصبت . « إلى الباب » . هيا إلى الباب .

مث : إلى باب عطفكن ، أيتّها الأرواح الملائكية ،
نتوسل إليكن ألا تجدن بنظرة . . .
بيرون : « أن تجدن بنظرة » أيها الوغد .
مث : أن تجدن بنظرة من عيونكن المشرقة كشعاع الشمس —
بعيونكن المشرقة كشعاع الشمس —
بوييت : هذا الوصف لا ينطبق عليهن .
كان خيراً أن تقول « المحرقة كشعاع الشمس » .
مث : إنهن لا يلتفتن إليّ . سأكف عن الكلام .
بيرون : أهذا أحسن ما عندك ؟ هيا انصرف أيها الوغد .
(يخرج مث)
روزالين : ماذا يطلب هؤلاء الغرباء ؟ سلهم عن مرادهم يا بوييت.
فإن كانت لغتهم من لغتنا فإنا نريد
أن يفصح رجل صريح عن غرضهم .
سلهم عن مرادهم
بوييت : ماذا ترجون من الأميرة ؟
بيرون : لا شيء إلا السلام والزيارة الكريمة .
روزالين : ماذا يقولون إنهم يبغون ؟
بوييت : لا شيء إلا السلام والزيارة الكريمة .
روزالين : لهم ما يطلبون ، فمرهم أن ينصرفوا .

بوييت : الأميرة تقول إن لكم ما تطلبون ، فانصرفوا إذن .
فرديناند : قل لها إننا قطعنا الأميال الطوال
لنرقص معها على هذا الكلأ .
بوييت : هم يقولون إنهم قطعوا الأميال الطوال
ليرقصوا معك على هذا الكلأ .
روزالين : هذا ليس صحيحاً . سلهم كم بوصة فى الميل .
فإن كانوا حقًّا قد قطعوا الأميال الطوال
فهم لاشك يعرفون كم بوصة فى الميل .
بوييت : إن كنتم حقًّا قد قطعتم الأميال
والأميال الطوال لتصلوا إلى هذا المكان
فالأميرة تأمركم إن تقولوا كم بوصة فى الميل .
بيرون : قل للأميرة إن مقياسنا هو خطواتنا المتعبة .
بوييت : إنها تسمع كلامك بنفسها .
روزالين : إذن فكم خطوة متعبة
فى كل ميل من هذه الأميال الطوال المتعبة
التى قطعتموها ؟
بيرون : نحن لا نحصى خطونا حين نسير من أجلك يا مولاتى .
فواجبنا نحوك عظيم بلا حدود
يدفعنا إلى أن نؤديه دائماً بلا حساب

تعطفى وأشرقى بوجهك علينا كالشمس
حتى نتعبد كأهل الفطرة لضيائك .

روزالين : بل إن وجهى كالبدر ، ويحجبه الغمام .

فرديناند : بارك الله فى هذا الغمام الذى يحجب هذا البدر !
تعطف علينا إذن أيها البدر الوضاء بنورك ، ولتبزغ معك نجومك
من وراء هذا الغمام على عيوننا الدامعة .

روزالين : يا لك من سائل عابث ! سل ما هو أثمن من هذا .
فأنت الآن تضيع وقتك فى طلب ما لا قيمة له .

فرديناند : أيها القمر ذو الوجوه الدوارة ، تعطف علينا بدورة واحدة ،
بإذنك رجوتك وأنت تقدرين الرجاء وإن جاء من أجنبى .

روزالين : إذن فإلينا بالموسيقى . هيا نرقص من فورنا .
أراك تتردد ؟ إذن عدلنا عن الرقص وهكذا أتغير كالقمر .

فرديناند : ألا ترقصين ؟ ماذا جعلك تتحولين عن رأيك ؟

روزالين : لقد أدركت القمر حين كان بدراً فلما انتظرت دخل القمر فى وجه جديد .

فرديناند : ولكن ما زالت هى القمر وما زلت أنا الرجل الذى يظهر فى القمر .

وما زالت الموسيقى تعزف . فأذنى بالرقص .

روزالين : آذاننا ترقص مع الأنغام .

فرديناند : والواجب أن ترقص الأقدام .

روزالين : ما دمتم أجانب عن هذه البلاد ، جئتم هنا بمحض الصدفة ،

فلن نخجل منكم ، هات يدك : لن نرقص يا سيدى .

فرديناند : إذا كنا لن نرقص فقيم أعطيك يدى ؟

روزالين : لنسلم سلام الوداع ، ونفترق أصدقاء :

انحنين للتحية يا حبيباتى . بهذا تنتهى الرقصة .

فرديناند : أعطنا مزيداً من هذه التحية . وبهذا ينتهى الأمر .

روزالين : لن تنالوا منا المزيد بهذا الثمن البخس .

فرديناند : إذن فحددن أنتن الثمن . بم نشترى صحبتكن ؟

روزالين : بانصرافكم ، لا أقل من ذلك .

فرديناند : هذا لن يكون .

روزالين : إذن فلا سبيل إلى شرائنا ، ولهذا أقول الوداع .

تحيتان لقناعك ، ونصف تحية لك .

فرديناند : ما دمت ترفضين الرقص ، فلنتحدث بعض الوقت .

روزالين : فى خلوة إذن

فرديناند : يسعدنى هذا أكثر من أى شىء آخر .

(يتحدثان على انفراد)

بيرون : أى سيدتى ، يا ذات اليد البيضاء ، عندى كلمة واحدة حلوة أحب أن أقولها لك .

الأميرة : الشهد واللبن والسكر . هاك ثلاث كلمات .

بيرون : بل وثلاث أخرى ، ما دمت تحبين الدقة :
الخمر والراح والصهباء . يازهر . « دو ، سيه » ثلاثة وثلاثة ،
بهذا نتكافأ ، ولدينا الآن ست كلمات حلوة .

الأميرة : والحلوة السابعة هى : مع السلامة .
ما دمت تغش فى اللعب فلن ألاعبك ،

بيرون : كلمة واحدة على انفراد .

الأميرة : أرجو ألا تكون حلوة .

بيرون : أنت قطعت مرارتى .

الأميرة : مرارتك مرة .

بيرون : لهذا فهى مناسبة .

(يتحدثان على انفراد)

دومان : هل تتكرمين بأن نتبادل كلمة ؟

ماريا : قل ما هى .

دومان : سيدتى الجميلة . . .

ماريا : أهذا رأيك ؟ إذن خذ هذا : سيدى الجميل .
خذ هذا بدل سيدتك الجميلة .

دومان : ائذنى لى بكلمة مثلها أقولها على انفراد ، ثم أنصرف .

(يتحدثان على انفراد)

كاترين . عجبا ! هل صنع قناعك بغير لسان ؟

لونجافيل : أنا أعرف يا سيدتى السبب الذى من أجله تسألين .

كاترين : إلىّ بالسبب . عجل يا سيدى فإنى مشوقة إلى معرفته .

لونجافيل · السبب أن فى قناعك لسانين ،
وفى إمكانك أن تعطى أحدهما لقناعى الصامت هذا [١]

كاترين : قناعك هذا يسميه الهولنديون « فيل » ،
أليس الفيل ، وفيه من اسمك ، هو العجل ؟

لونجافيل : العجل ! سيدتى الجميلة !

كاترين : كلا ! بل عجل سيد جميل .

لونجافيل : فلنقتسم الكلمة إذن .

كاترين : كلا ، فلن أكون نصفك [٢] :

---

(١) لقد كان القناع القديم يثبت على الوجه بلسان أو ببروز من الداخل يمسك فى الفم . وربما كان فى هذا القول أيضاً إشارة إلى « لسان » الأفاعى « المزدوج » .

(٢) تريد « زوجتك » .

العجل كله لك فخذه وافطمه . فقد يتبين أن العجل
الرضيع ثور .

لونجافيل : أنت تنطحين نفسك بهذه السخرية المريرة .
أأنت ممن يعطون القرون يا سيدتى الطاهرة ؟ بالله
لا تفعلى ذلك .

كاترين : إذن مت عجلا قبل أن ينبت قرناك .

لونجافيل : هل تسمحين لى بكلمة معك على انفراد قبل أن أموت .

كاترين : أسمعنى ثغاءك إذن فى هدوء ، فالجزار يسمع صراخك .
(يتحدثان على انفراد)

بوييت : إن ألسنة الحسان الساخرات بتارة
كحد الموسى الذى يدق على العيون
ويغلق الشعرة التى تخفى بلطافتها على الأبصار .
حتى يعيى الإدراك فى فهمهن .
حديثهن يقنع كل عاقل ، أما خيالهن فذو أجنحة
أسرع من السهام والرصاص والرياح ، ومن الفكر .
بل أسرع من أسرع الأشياء .

روزالين : كفى كلاماً يا وصيفاتى . كفى . كفى .

بيرون : أقسم أننا جميعاً ضربنا ضرباً موجعاً بهذه السخرية
دون غيرها .

فرديناند : وداعاً ، أيتها البنات الغريبات الأطوار . إن لكن عقولا ساذجة .

الأميرة : ألف وداع يا أبناء موسكو المقرورين .

(يخرج النبلاء والزفوج)

أهذه هي الصفوة التي أذهل ذكاؤها الدنيا .

بوييت : إنهم شموع وأنت أطفأتها بأنفاسك الزكية .

روزالين : إن عقولهم تناسب أبدانهم ، فالخشن منهم عقله خشن ، والسمين عقله سمين .

الأميرة : يا لها من نقائض مضحكة ! العقل الناقص كالملك الفقير !

أتظنين أنهم لن يشنقوا أنفسهم هذه الليلة ؟
أو تظنين أنهم سيجرؤون بعد اليوم على الخروج
بوجوه سافرة ليس عليها أقنعة ؟
إن بيرون الذى يفيض بالحيوية قد فقد أعصابه فقداً تامًّا .

روزالين : لقد كانوا جميعاً فى حالة يرثى لها .
فالملك أوشك أن يبكى باحثاً عن كلمة طيبة يقولها .

الأميرة : وبيرون أقسم أنه لا يصلح لشىء .

ماريا : ودومان وضع نفسه وسيفه فى خدمتى

وحين قلت له : لست بحاجة ، أصاب العيّ خادمى .

كاترين : والسيد لونجافيل قال إنى غزوت قلبه .
أتعرفن ماذا سمانى ؟

الأميرة : ربما سماك مرض القلب .

كاترين : هذا ما قاله عنى حقاً .

الأميرة : ما دمت مرضاً فابتعدى .

روزالين : رأينا رجالا يفوقونهم فى الذكاء كانوا أبسط منهم زياً .
ولكن اسمعن البقية . إن الملك أقسم أنه عاشق الأمين .

الأميرة : وبيرون المرح عاهدنى على الوفاء .

كاترين : ولونجافيل قال إنه ما خلق إلا ليكون خادمى .

ماريا : ودومان قال إنه ملك لى ، وإنه ألصق بى من القشرة للشجرة .

بوييت : يا مولاتى ، ويا سيداتى الفاتنات ، اسمعن إلى ما أقول .
سيعود السادة من فورهم إلى هذا المكان
فى أزيائهم الحقة وبغير تنكر .
فمن غير المعقول أن يقبلوا هذه الإساءة الجارحة .

الأميرة : أتعتقد أنهم سيعودون ؟

بوييت : نعم ، نعم ، علم الله .
ولسوف يرقصون فرحاً رغم أن الضربات قد كَسَّحتهم .

فلتسترد كل هديتها ، وحين يقبلون ،
تفتحن كالورود العاطرة فى نسيم الصيف العليل .

الأميرة : وكيف نتفتح ؟ وكيف نتفتح ؟ أفصح لنفهم كلامك.

بوييت : حين تلبس الحسان القناع تبدو كالورود الخبيئة فى براعمها ،
وحين تنزع عنها القناع تخرج منها فتبدو كالدمقس
الحلو الذى امتزجت فيه الحمرة والبياض ،
فهن ملائكة تزيح عنها الغمام أو ورود تتفتح .

الأميرة : كفى ألغازاً . ترى ماذا نفعل
لو عادوا إلينا على حقيقتهم ليخطبوا ودنا ؟

روزالين : يا سيدتى الكريمة ، إذا أردت نصيحتى
فلنواصل السخرية منهم على حقيقتهم كما سخرنا منهم حين جاءوا إلينا متنكرين .
فلنشكوا إليهم من جماعة من الحمقى زارونا مستخفين
فى زى الروس وفى ثياب لا هندام فيها ،
ونقول إننا لا ندرى من يكون هؤلاء الرجال ، وفيم كان قدومهم إلى خيمتنا ،
وماذا كانوا يبغون من وراء ذلك المشهد السخيف
الذى مثلوه أمامنا ، وذلك الخطاب الركيك الذى بدأوا به مشهدهم ،

وذلك السلوك الغليظ المضحك الذى ظهروا به أمامنا .

بوييت : انسحبن يا سيداتى ، فقد وصل العشاق .

الأميرة : هيا أسرعن إلى الخيام فى خفة الغزلان تمشى على الخمائل .

(تخرج الأميرة وروزالين وكاترين وماريا)

(يعود الملك و بيرون ولونجافيل ودومان فى زيهم الطبيعى)

فرديناند : حفظ الله حياتك يا سيدى الكريم ! أين الأميرة ؟

بوييت : ذهبت إلى خيمتها .

اتأمرنى جلالتك بأية خدمة أقوم بها لديها ؟

فرديناند : نعم ، أن تتفضل وتستمع إلى كلمة منى .

بوييت : سمعاً وطاعة . وإنها لفاعلة فيما أعرف يا سيدى .

(يخرج)

بيرون : إن هذا الفتى يلتقط الفكاهة كما يلتقط الحمام الحب

ثم يتجشؤها مرة أخرى كلما سمحت له الظروف .

إنه بدال يجمع الفكاهات ويبيعها بالتجزئة

فى الأفراح وحول أقداح الراح وفى الندوات وفى الأسواق والمواكب .

أما نحن الذين نبيعها بالجملة فالله يعلم

أننا لا نعرف كيف نعرضها هذا العرض البديع .

وهذا الفتى يطوى الحسان فى أكمامه ،

ولو أنه كان أبانا آدم لأغوى حواء بدلا من أن تغويه .
وهو يعرف كيف يأسر القلوب ويفتعل الرقة فى الكلام ،
وهو الذى قبل يده بتحية الوداع .
إنه كالقرد يتقن محاكاة آداب السلوك ،
وهو الفرنسى اللبق الذى يلعن الزهر ، حين يلعب النرد ،
بشريف الألفاظ . بل هو يحسن الغناء
ويتقن تقديم الزائرين إلى سيدته الأميرة فلا يخطئ أبداً .
تناديه كل سيدة : « يا حبيبى » ،
وعندما يخطر على السلم فى رشاقة يقبل الدرج قدميه .
هو الزهرة التى تبسم لكل ناظر
ليرى الكل بياض أسنانه الناصع كعظم الحوت .
وما من منصف حىّ الضمير
إلا ويطرى السيد بوييت ذا اللسان المعسول بما يستحق
من ثناء .

فرديناند : اللعنة على لسانه المعسول ، هذا الذى أخرس موث
تابع أرمادو
وأنساه الدور الذى حفظه . نعم ، أنا ألعنه من صميم قلبى .
(تعود الأميرة ويعلن عن قدومها بوييت ومع الأميرة روزالين
وماريا وكاترين والأتباع)

بيرون : انظر إلى آداب السلوك قادمة علينا . أين كنت يا آداب السلوك
قبل أن يعلن هذا المهرج مجيئك . وماذا تكونين الآن ؟

فرديناند : جاد بك الغيث يا سيدتى الفاتنة وصحا نهارك .

الأميرة : الغيث والصحو لا يتفقان على ما أتصور .

فرديناند : أرجوك أن تحسنى فهم كلامى .

الأميرة : إذن فأرجوك أن تحسن تحيتى . أذنت لك فى ذلك .

فرديناند : جئنا لزيارتك ونحب الآن أن نقودك إلى بلاطنا .
فهل تتفضلين بالقبول .

الأميرة : هذا الحقل سيحفظنى ويحفظ بذلك عليك قسمك .
فلا الله يحب الحانثين ولا أنا أرضى بهم .

فرديناند : لا تؤنبينى على ما جنت يداك .
فالفضيلة فى عينيك تحلنى من قسمى .

الأميرة : أنت تسىء فهم الفضيلة ، وقد كان ينبغى أن تقول الرذيلة .
فليس من عمل الفضيلة أن تنكث بعهود الرجال .
لهذا أقسم بشرف عذارتى الطاهرة
كالسوسنة التى لم تدنسها يد إنسان ،
أنى لن أقبل الضيافة فى دارك

ولو تحملت فى ذلك كل ما فى الدنيا من عذاب .
وهذا يريك كم أبغض أن أكون سبباً فى الحنث
بالأيمان .
التى يرتبط بها الشرف وتشهد عليها السماء .

فرديناند : وا أسفاه ! لقد أقمت فى هذا البلقع وحيدة
لا يراك أحد ولا يزورك إنسان . ونحن أشد ما نكون
خجلا من ذلك .

الأميرة : كلا يا مولاى ، ليس الأمر كذلك . أقسم لك أن
هذا غير صحيح .
فقد نعمنا هنا بأطيب الألعاب وأزجينا فراغنا على خير
ما يكون .
ولقد زارنا أربعة من الروس ولم ينصرفوا إلا أخيراً .

فرديناند : ماذا تقولين يا سيدتى ؟ من الروس !

الأميرة : أجل يا مولاى ،
هذه هى الحقيقة .
وقد كانوا مثالا للنبالة والأناقة ، يفيضون بالتودد
وتجللهم المهابة .

روزالين : بل قولى الصدق يا سيدتى ، ليس هذا صحيحاً يا مولاى.
فسيدتى جرياً على عادة هذه الأيام
تلقى الثناء جزافاً على من لا يستحقونه تأدباً منها ومجاملة .
نعم لقد جاءنا نحن الأربع أربعة رجال

فى ملابس الروس وأقاموا بيننا ساعة يثرثرون .
ولكنهم يا مولاى لم يجودوا علينا
بكلمة واحدة طيبة طول هذه الساعة .
ولست أستطيع أن ألقبهم بالحمق ، ولكن رأيى فيهم
أنك لا تفرقهم من الحمق إن رأيتهم ظمأى مقبلين
على الشراب .

بيرون : هذه دعابة لا تروى ظمأ .
إن ذكاءك ، يا فاتنتى الكريمة يجعل من الحكمة
حماقة .
فحين نحملق فى الشمس ، وهى عين السماء الملتهبة ،
لنحييها يعشينا الضياء فنفقد البصر .
ولقد وسعت عبقريتك الفذة كل شىء
حتى لتبدو بجانبها الحكمة سفاهة والغنى فقراً .

روزالين : قولك هذا يثبت أنك من أهل الحكمة ومن أهل الثراء ،
لأنك فى عينى . . .

بيرون : أحمق وفقير مدقع .

روزالين : لولا أنك أخذت ما هو لك ، لقلت إنك أخطأت
حين انتزعت الكلام من فمى انتزاعاً .

بيرون : بل أنا وكل مالى ملك يديك .

روزالين : الأحمق كله ملك يدى ؟

بيرون : وهل أستطيع أن أعطيك أقل من ذلك ؟

روزالين : أى قناع وضعت على وجهك ؟

بيرون : أين ؟ متى ؟ أى قناع ؟ وفيم تسألين عن هذا ؟

روزالين : هناك ، وقتئذ ، ذلك القناع ، أقصد ذلك الغطاء الإضافى
الذى أخفى أسوأ الوجهين وأبان عن أحسنهما .

فرديناند : لقد اكتشفن الحقيقة ، وسوف يسخرن الآن منا أسر سخرية .

دومان : فلنعترف إذن بما فعلناه ونجعله موضوعاً للدعابة .

الأميرة : أعاجب أنت يا مولاى ؟ وما سر هذه الكآبة التى تبدو على وجه جلالتكم ؟

روزالين : النجدة ! النجدة ! اسندوا جبهته يوشك أن يغشى عليه .
ما سر هذا الشحوب ؟
أظن أن دوار البحر أصابك وأنت قادم من موسكو .

بيرون : هذه أوبئة تمطرنا بها النجوم لأننا حنثنا باليمين .
أفى الدنيا وجه صفيق يحتمل من التقريع أكثر من هذا ؟
هأنذا أقف أمامك يا سيدتى فصوبى إلى كل ما فى جعبة حذقك من سهام .

اسحقيني باحتقارك . املأى نفسى اضطراباً بسخريتك.
اطعني غباوتى بسنان ذكائك النفاذ .
مزقيني إرباً بنصال عقلك الثاقب .
فلن أسألك أن ترقصى معى ما حييت ،
ولن أقف فى خدمتك فى زى الروس بعد اليوم .
أجل . لن أثق ما حييت فى الخطب المنمقة ولا فى كلام
الصبية الأغرار ،
ولن أزور من أحب مستخفياً وراء قناع ،
أو أطارحها الغرام بالقريض ،
كأننى المنشد الأعمى يترنم بقيثارته .
لن أتغزل بعبارات مدبجة كأنها الثوب الزاهى ، أو بأقوال
ناعمة كالحرير ،
أو بالخيال الموشى كأنه المخمل الغالى ، أو بالبيان
المتكلف أو بالبلاغة المتحذلقة .
إن هذه الأشياء الدنيئة قد ملأتنى غروراً ،
وإنى لعازف عنها جميعاً .
قسماً بهذا القفاز الأبيض الذى يخفى يداً علم الله مقدار
بياضها ،
أعلن أنى لن أغازل بعد اليوم إلا بلا أو نعم ،

صريحتين لا مواربة فيهما ولا مجاملة .
وهأنذا أبدأ حديثى فأقول ، أعانني الله على ما أقول :
إن حبي لك ، يا فتاة حب نظيف لا عيب فيه
ولا أوشاب عليه .

روزالين : إن فى قولك « لا أوشاب » شيئاً من التأنق فدعه من فضلك .

بيرون : إن بى أثراً من الحنق القديم ، صبراً .
لقد أدركنى السقم ، ولكنى سأبرأ منه شيئاً فشيئاً .
مهلا ! انظرن إلى هؤلاء الثلاثة ترين الداء ينخر أجسامهم .
لقد أصابهم الداء ، وهو كامن فى قلوبهم .
أجل ، أصابهم الطاعون . رمتهم به لحاظكن ،
هؤلاء السادة صرعى الطاعون . وأنتن يا سيداتى لستن بمنجاة منه .
فإنى أراكن تحملن أعراضه .

الأميرة : ولكن السادة الذين تحمل تذكارهم بمنجاة منا .

بيرون : حياتنا رهينة بين أيديكن ، ولا أمل لنا فى النجاة ،
فمن العبث أن تحاول

روزالين : هذا غير صحيح .

وكيف يكون صحيحاً وأنتم أصحاب الدعوى .

بيرون : صمتاً ! فلن يكون لى شأن معك .

روزالين : وأنا كذلك لن يكون لى معك شأن ، إذا فعلتما أنتويه .

بيرون : لقد فرغت جعبتى . هيا دافعوا أنتم عن أنفسكم .

فرديناند : علمينا يا سيدتى كيف نكفر عن إساءتنا إليكن .

الأميرة : فى الاعتراف خير تكفير .
ألم تكن هنا منذ هنيهة متنكراً ؟

فرديناند : بلى ، لقد كنت يا سيدتى

الأميرة : وهل كنت فى كامل عقلك ؟

الملك : نعم كنت يا سيدتى الحسناء .

الأميرة : وبم همست عندئذ
فى أذن محبوبتك حين كنت هنا ؟

فرديناند : بأنى أقدرها أكثر مما أقدر كل ما فى العالم .

الأميرة : فإذا همت بامتحان إخلاصك نبذتها وأعرضت عنها .

فرديناند : كلا ، أقسم لك بشرفى .

الأميرة : صمتاً ! صمتاً ! أمسك عن القسم ، فمن حنث بالعهد
مرة هانت عليه اليمين .

فرديناند : إذا حنثت بهذه اليمين فازدرينى .

الأميرة : سأفعل ذلك ، فاحتفظ إذن بقسمك . يا روزالين ،

بم همس فى أذنك السيد الروسى ؟

روزالين : يا سيدتى ، إنه أقسم أنه يحبنى
كنور عينيه الذى لا يعلو شىء عليه ،
وأنه يقدرنى فوق كل ما فى الدنيا ، ثم أضاف
أنه إن لم يتزوجنى فسوف يموت عاشق الوفى .

الأميرة : إذن أتم الله فرحتك به يا روزالين . فهذا السيد النبيل
سوف يفى بما وعد به كما يقضى بذلك الشرف .

فرديناند : ماذا تقصدين يا سيدتى ؟ أقسم بحياتى وبشرفى
إنى ما أقسمت مثل هذا القسم لهذه السيدة .

روزالين : وأنا أقسم بالسماء أنك أقسمت لى على ذلك . وقد أعطيتنى
هذه الهدية تأكيداً لما تقول . فخذ هديتك يا سيدى .
فهأنذا أردها إليك .

فرديناند : بل أنا أعطيت العهد والهدية معاً للأميرة .
وقد عرفتها بهذه الجوهرة التى تحملها على كمها .

الأميرة : عفواً يا سيدى . إن السيدة روزالين كانت تلبس هذه الجوهرة .
والسيد بيرون هو الذى خطب ودى ، فالشكر له .

والآن يا سيدى بيرون . ألا تزال تريد يدى أم تحب
أن تسترد الدرة التى وهبتنى إياها ؟

بيرون : لا أنت ولا هى ، فإنى أترك كليكما .
لقد فهمت اللعبة : لقد كان ثمة اتفاق بين هؤلاء السيدات
وقد جاءهن علم سابق بدعابتنا
فتواطأن على إفسادها كأنها الملهاة التى تمثل فى عيد الميلاد
أجل . لقد وشى بمرادنا واش ، أو نمام أو طفيلى ،
أو مهرج تافه ، أو ثرثار يشقشق بالأنباء ، أو فارس من فرسان المآدب ،
أو سمير مهذار لا يكف عن الهزل
ويعرف كيف يضحك سيدتى كلما طابت نفسها للمزاح .
وما إن وقفت السيدات على سرنا
حتى تبادلن ما أخذن من هدايا .
وهكذا تبع كل منا دلالة غرامه فغازل غير محبوبته .
هكذا أضفنا إلى حنثنا السابق حنثاً جديداً ،
فازداد إثمنا شناعة لأننا سعينا بمحض إرادتنا

إلى هذا الخطأ . هذا ما أعتقد أنه حدث .
(مخاطباً بوبيت) وأنت يا سيد بوبيت . ألم تعرف بدعابتنا
وتفسدها لكى يتبدى للسيدات زيفنا ؟
ألست تعرف من أين تؤكل الكتف وتدخل على فؤاد سيدتى السرور .
أنت الطفيلى الذى يحمى ظهر سيدتى من النار
ويمزح طرباً وهو يحمل الصحاف .
أنت الذى أسكت تابعنا الفتى عن تلاوة القصيدة .
ولكن لا جناح على أحمق .
وحين تنفق سوف يكون كفنك ثوب امرأة . أتشمت فىّ ؟
إن عينك هذه كسيف من رصاص لا يخترق شيئاً .

بوبيت هكذا مرحنا أشد المرح بهذه الدعابة الجميلة ، التى
سارت إلى آخر الشوط .

بيرون انظروا إليه ! ها هو ذا يستعد للنزال من جديد .
اصمت ، لقد قلت كل ما عندى .
(يدخل كسنارد)
مرحى بالقريحة الصافية . أنت تقف بيننا فتضع حداً
لهذه المبارزة الشريفة .

كستارد : هذا رأيك يا سيدى . هؤلاء السادة يريدون أن يعرفوا
هل الأبطال الثلاثة قادمون أو غير قادمين .

بيرون : وكيف ذلك ؟ هل ضمر الأبطال التسعة إلى ثلاثة ؟

كستارد : كلا يا سيدى . ولكن كلا منهم سيمثل ثلاثة أبطال .

بيرون : وثلاثة فى ثلا ثة تساوى تسعة .

كستارد : كلا يا سيدى . أرجو ألا تكون كذلك ،
فتسعة رقم المغفلين ، ونحن لسنا من المغفلين أؤكد لك
ذلك يا سيدى .
نحن نعرف ما تعلمنا وأرجو يا سيدى أن تكون ثلاثة
فى ثلاثة . . .

بيرون : لا تساوى تسعة .

كستارد : لا تؤاخذنى يا سيدى ، نحن نعرف حاصل ثلاثة
فى ثلاثة .

بيرون : قسماً ! لقد كنت دائماً أحسب أن ثلاثة فى ثلاثة
تساوى تسعة .

كستارد : هذا رأيك يا سيدى ، لو كنت تكسب عيشك
من الحساب لمت من الجوع .

بيرون : كم إذن ثلاثة فى ثلاثة ؟

كستارد : هذا رأيك يا سيدى . ولكن الممثلين سوف يرونك

حاصل ثلاثة فى ثلاثة . أما أنا

فعلى أن أمثل دور رجل واحد لا أكثر ،

وهذا البائس يا سيدى هو بومبيون الكبير .

بيرون : أأنت واحد من الأبطال ؟

كستارد : هكذا رأوا أنى أليق لدور بومبى الكبير .

أما أنا فلا أعلم شيئاً عن مكانة هذا البطل ،

ولكنى رغم ذلك سأمثل شخصه .

بيرون : هيا انصرف إذن ، ومرهم أن يستعدوا .

كستارد : سوف نمثل أحسن تمثيل . وسوف نمثل بعناية .

(يخرج)

فرديناند : اسمع يا بيرون : سوف يجلبون علينا العار امنعهم من المجئ .

بيرون : إن الخجل لا يعرف طريقه إلينا يا مولاى . ثم إن هناك بعض الحكمة

فى أن ترى سيداتنا مشهداً أردأ من مشهد الملك ورجاله .

فرديناند : أنا آمر بعدم مجيئهم .

الأميرة : بلى يا مولاى الكريم ، دعنى أفرض عليك رأيى الآن .

فأمتع الألعاب ما لا يعرف أصحابه كيف يمتعون .

وحرص اللاعب على الإرضاء يميت الدور الذى يلعبه .

وأدعى الأشياء إلى السرور ما اختلطت أشكالها ،
وليس أروح على النفس من عظام الأمور
تجاهد لتخرج إلى الحياة فتموت فى مهدها .

بيرون : هذا خير وصف يا مولاى لما دبرناه من فكاهة .

(يدخل أرمادو)

أرمادو : يا من رسمت ملكاً علينا ، اضرع إليك أن تجود علىّ
بأنفاسك الملكية الزكية فتخاطبنى بكلمتين .

(يتحدث إلى الملك ويسلمه ورقة)

الأميرة : أيعبد هذا الرجل الملك أم يعبد الله ؟

بيرون : لم تسألين هذا السؤال ؟

الأميرة : إنه لا يتكلم كرجل من خلق الله ؟

ارمادو : سيان الأمر عندى يا مليكى الحلو الجميل الشهى
كالشهد المصفى .
فأنا أعلن أن المدرس هولوفرنيز رجل مسرف فى أوهامه ،
بل آية من آيات الغرور . أجل آية من آيات الغرور .
ولكن فلنترك الأمر كما يقولون فى كفة الوغى
فهى ترجح ما تشاء . وأتمنى لشخصيكما الملكيين
راحة البال .

(يخرج)

فرديناند : يبدو أنه قد اجتمع لنا من يمثل الأبطال التسعة خير تمثيل :
فهذا الرجل يمثل هكتور بطل طروادة ،
والفلاح يمثل بومبى الكبير ، والقس يمثل الإسكندر ،
وتابع أرمادو يمثل هرقل ، والمدرس المتحذلق يمثل يهوذا المكابى .
وإذا نجح هؤلاء السادة الأفاضل الأربعة فى أدوارهم فى المشهد الأول
بدلوا ملابسهم ومثلوا الخمسة الباقين .

بيرون : أنت عددت خمسة فى المشهد الأول .

فرديناند : أخطأت ، فهذا غير صحيح .

بيرون : المدرس المتحذلق والنفاج والقس
والمغفل والغلام .
هؤلاء خمسة لم يجد الدهر بمثلهم .
إذا نظرت إلى كل منهم حسب قيمته .

فرديناند : أرى سفينة الحمق قد بسطت شراعها ، وها هى ذى تمخر صوبنا العباب .

(يدخل كستارد فى زى بومبى)

كستارد : أنا بومبى . . .

بيرون : كذبت . أنت لست بومبي .

كستارد : أنا بومبي . . .

بوييت : رأس سبع ، والسبع راكع على ركبتيه .

بيرون : أحسنت الوصف ، أيها الساخر الأصيل ،
ومن واجبي أن أصطلح معك .

كستارد : أنا بومبي ، وبومبي أنا ، يلقبني الناس ببومبي الطويل . .

دومان : الأكبر .

كستارد : نعم يا سيدى ، « الأكبر » . يلقبني الناس ببومبي الأكبر .
أنا الذى كثيراً ما خضت المعارك حاملا درعي فجعلت أعدائي يتصببون عرقاً .
وقد وصلت هنا مصادفة بعد أن جبت شواطئكم ،
وها أنذا ألقى بسلاحى عند قدمى هذه الغادة الجميلة أميرة فرنسا .
فإذا قلت يا سمو الأميرة : « شكراً يا بومبي »
فرغت من دورى .

الأميرة : شكراً عظيماً لبومبي العظيم .

كستارد : أنا لا أستحق كل هذا الشكر ، ولكن أرجو أن أكون قد وفقت .

فلم أرتكب إلا غلطة واحدة فى كلمة « الأكبر » .

بيرون : أراهن بقبعتى نظير نصف بنس أن بومبى أحسن الأبطال .

(يدخل السيد ناثانيل فى زى الإسكندر)

ناثانيل : حين كنت من أهل الدنيا كنت سيد العالمين ،
ونشرت جحافلى المظفرة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب .
وهذه الشارة البسيطة تشهد بأنى الإسكندر .

بوييت : ولكن أنفك يشهد بأنك لست الإسكندر ، فهو أشد استقامة مما ينبغى .

بيرون : بل أنفك الحساس يا بوييت هو الذى أشتم أنه ليس بالإسكندر .

الأميرة : أرى اليأس يغمر الغازى . امض فى كلامك أيها الإسكندر الصالح .

ناثانيل : حين كنت من أهل الدنيا كنت سيد العالمين . . .

بوييت : هذا صحيح . أصبت فى القول ، فقد كنت كذلك يا إسكندر .

بيرون : وبومبى الأكبر . . .

كستارد : خادمك المطيع كستارد .

بيرون : أخرجوا الغازى . أخرجوا الإسكندر .

كستارد : (مخاطباً ناثانيل) ــ ماذا فعلت يا سيدى ! لقد أسقطت
الإسكندر الفاتح .
وسوف ننزع عنك ثيابك الملونة عقاباً لك .
وشعارك هذا ، هذا الأسد حامل البلطة
سوف يعطى للبطل آجاكس بدلا منك ،
وسيكون هو البطل التاسع .
أتمثل دور الفاتح وتخاف أن تفتح فمك !
هيا امض وتوار خجلا يا إسكندر .
(ينصرف ناثانيل) أسألكم أن تنظروا إليه . انظروا
إليه تروا رجلا وديعاً ولكنه أحمق ،
رجلا شريفاً ولكنه يفقد شجاعته سريعاً .
إنه حقًّا خير جار ، وهو يحسن لعب الكرة ، ولكنه
لا يحسن لعب دور كالإسكندر .
وا أسفاه ! لقد رأيتم أن الدور أكبر منه . ولكن غيره
من الأبطال
قادمون وسوف يعبرون عن أنفسهم بطريقة أخرى .

الأميرة : تنح يا صديقنا بومبى .

(يدخل هولوفرنيز فى دور يهوذا ومث فى دور هرقل)

هولوفرنيز : إن هذا الغلام يمثل هرقل العظيم
الذى فتكت هراوته بسربروس ، ذلك الكلب المتوحش
ذى الرؤوس الثلاثة .
وحين كان هرقل طفلا رضيعاً ضئيل الحجم
خنق بيده الثعابين هكذا .
وإذا كان القائم بدور هرقل يبدو قاصراً ،
فقد جئتكم بهذا الاعتذار .
هيا انصرف يا هرقل . هيا اختف عن الأنظار . ولكن
احتفظ عند خروجك بالوقار .
(يخرج مت) وأنا يهوذا . . .

دومان : يهوذا !

هولوفرنيز : لست يهوذا الإسخريوطى يا سيدى
ولكنى يهوذا الملقب بالمكابى .

دومان : يهوذا هو يهوذا مهما حليته بالصفات .

بيرون : يهوذا الخائن الذى قبل المسيح ليسلمه لليهود . هل
أظهرت حقيقتك يا يهوذا ؟

هولوفرنيز : أنا يهوذا . . .

دومان : بهذا يزداد عارك يا يهوذا

هولوفرنيز : ماذا تقصد يا سيدى ؟

بوييت : إنك تجعل يهوذا يشنق نفسه .

هولوفرنيز : تفضل . تكلم يا سيدى ، فأنت تكبرنى سناً .

بيرون : أحسنت . إن يهوذا شنق نفسه على شجرة ندماً منه على فعلته .

هولوفرنيز : لن يحمر وجهى خجلا لهذا الكلام .

بيرون : لأنك لا وجه لك .

هولوفرنيز : ماذا تقول ؟

بوييت : بل لك رأس يشبه رأس القيثارة .

دومان : بل يشبه رأس الدبوس للشعر .

بيرون : بل يشبه رأس ميت رسم على خاتم .

لونجافيل : بل يشبه الرأس على عملة رومانية قديمة ، لا يكاد يستبينه الناظر .

بوييت : بل يشبه رأس سيف قيصر .

دومان : بل يشبه الجمجمة المحفورة على القارورة .

بيرون : بل يشبه جانباً من وجه مارجرجس نراه فى الشارة .

دومان : والشارة من رصاص .

بيرون : يلبسها الحلاقون الذين يخلعون الأضراس .
والآن هيا . تقدم . لقد رددنا لك وجهك .

هولوفرنيز : بل أرغمتمونى على أن أخفى وجهى .

بيرون : هذا هراء . لقد أنعمنا عليك بثلاثة وجوه .

هولوفرنيز : ولكنكم حطمتموها جميعاً .

بيرون : ولو كنت أسداً لفعلنا بك هذا .

بوييت : أما وهو حمار ، فلنتركه يمضى لحال سبيله .
مع السلامة إذن يا يهوذا . لماذا تتريث ؟

دومان : هو ينتظر نصف اسمه الباقى .

بيرون : أعطيته اسمه وهو يهوذا . فأعطه لقبه . الحمار — الحمار ،
انصرف إذن يا يهوذا الحمار .

هولوفرنيز : هذا كلام غير كريم خلا من كل ذوق وأدب

بوييت : أنيروا طريق السيد يهوذا ، فالدنيا تظلم فى عينيه ،
وقد يتعثر فى سبيله .

(يخرج هولوفرنيز)

الأميرة : واأسفاه على هذا المكابى المسكين ! لقد عذبتموه عذاباً أليماً .

(يدخل أرمادو فى دور هكتور)

بيرون : أى أخيل ، اختف وتوار فقد جاء هكتور مدججاً بالسلاح .

دومان : سوف أطلق لنفسى العنان فأسخر منه
ولو ارتدت على سخريتى به .

فرديناند : إن هكتور كان إنساناً عادياً إذا قورن بهذا

بوييت : ولكن أكان هكتور على هذه الهيئة ؟

فرديناند : لا أظن أن هكتور كان متين البنية إلى هذا الحد .

لونجافيل : إن ساقه أضخم من ساق هكتور .

دومان : والضخامة فى بطن الساق بلاشك من أمارات الحماقة .

بوييت : ولكن أضخم ما فيه أسفل ساقه .

بيرون : هذا لا يمكن أن يكون هكتور .

دومان : هذا الرجل إما إله وإما رسام . فهو يصوغ من وجهه وجوهاً كثيرة .

أرمادو : إن المريخ ، إله الحرب ، الذى لا يفل له سلاح ، قد أنعم بهدية على هكتور .

دومان : أعطاه جوزة طيب مطلية بالذهب .

بيرون : بل أعطاه ليمونة .

لونجافيل : محشوة بأعواد القرنفل .

دومان : بل مفلوقة .

أرمادو : صمتاً !

إن مارس ، إله الحرب القادر على كل شىء ،
قد أنعم بهدية على هكتور ، وهو وريث « إليون »[١]

(١) Ilion = إليون .

دومان : وقد لا يحبها بالباردة .
أرمادو : وهكتور هذا يعلو على هانيبال بلا جدال .
وقد قطعت الجماعة —
كستارد : اسمع يا صديقى هكتور .
إن صاحبتك قد قطعت من الطريق شهرين .
أرمادو : وماذا تقصد ؟
كستارد : أقول حقاً إنك إذا لم تقم بدور الرجل الشريف ،
فسوف تحطم حياة البنت المسكينة .
إنها حبلى ، والطفل يصخب الآن فى بطنها ، فهو ابنك.
أرمادو : أتلوث سمعتى أمام هؤلاء الأماجد ؟
ستموت بيدى .
كستارد : ما دام الأمر كذلك فسيجلد هكتور بالسياط بسبب جاكنيتا
التى حملت منه ، ثم يشنق بسبب بومبى
الذى مات بيده .
دومان : أنت نادر بين الرجال يا بومبى !
بوييت : أنت عظيم بين العظماء يا بومبى !
بيرون : أنت أعظم من عظيم ، أنت بومبى المعظم العظيم ، العظيم !

الذى بلغه من وفرة صحته إنه كان يخر ج من خيمته
ليقاتل من الصباح إلى المساء .
وأنا تلك الزهرة .

دومان : تلك النعناعة .

لونجافيل : تلك النرجسة .

أرمادو : يا سيدى لونجافيل ، اضبط عنان لسانك .

لونجافيل : بل سأترك للسانى العنان ،
لأنه يهجم على هكتور .

دومان : وهكتور أسرع من كلاب الصيد .

أرمادو : وارحمتاه على هذا المحارب الكريم ،
فهو الآن فى عداد الأموات وجسده طعمة للديدان .
فيا أحبائى ، لا تحطموا عظام الأموات . كان هكتور
رجلا بين الرجال حين كان حياً يرزق .
ولكنى سأمضى فى الدور الذى أمثله .
فيا مولاتى الكريمة ، أعيرينى أذنيك .

(يتقدم بوييت)

الأميرة : تكلم يا هكتور الباسل ، فسرورنا بك عظيم .

أرمادو : وأنا أعبد حذاء مولاتى الكريمة .

بوييت : إنه يحبها بالقدم .

أنت بومبى المهول !

دومان : أرى هكتور يرتعد .

بيرون : إن بومبى ثائر : هاتوا مزيداً من الشحناء !
هاتوا مزيداً من البغضاء ! أثيروهما ، أثيروهما .

دومان : سيتحداه هكتور .

بيرون : إذا بقى فى بطنه دم
أكثر مما يمتصه البرغوث .

ارمادو : أقسمت بالقطب الشمالى : إنى أتحداك .

كستارد : أنا لا أحارب بالقطب ، كما يفعل أهل الشمال .
أنا البتار . أنا أبتر بالحسام ،
أرجوك أن تعيرنى أسلحتى التى كنت أحملها .

دومان : الأبطال غضبى ، فافسحوا لهم المجال .

كستارد : سأقاتل وأنا فى قميصى .

دومان : هكذا أهل العزم يا بومبى !

كستارد : دعنى يا سيدى أساعدك على خلع سترتك .
ألا ترى بومبى يخلع سترته استعداداً للقتال ؟
ماذا تقصد ؟ إنك ستفقد سمعتك .

ارمادو : أيها السادة ، أيها المحاربون : إنى أطلب عفوكم ،
لن أقاتل فى قميصى .

دوماى : لن تتراجع
بعد أن تحداك يومى .

أرمادو : يا أهل الحسب والنسب . من حقى أن أتراجع ، وسوف
أتراجع .

بيرون : وما السبب ؟

أرمادو : إليكم الحقيقة العارية : أنا لا ألبس قميصاً .
أنا ألبس الصوف على اللحم لأكفر عن الخطايا .

بويبت : هذا صحيح ، وقد أمروه بذلك فى روما
لعدم توافر الملابس الداخلية .
وأقسم لكم أنه منذ ذلك اليوم لم يلبس إلا ميدعة
جاكنيتا ،
وأنه يلبسها حول قلبه تذكاراً لحبه .

(يدخل السيد مركاديه ، وهو رسول)

مركاديه : حفظ الله حياتك يا سيدتى !

الأميرة : مرحباً بك يا مركاديه ،
وأن كنت تقطع علينا ما نحن فيه من مرح .

مركاديه : يؤسفنى ذلك يا سيدتى ، فالنبأ الذى أحمله إليك
حزين ثقيل على لسانى . إن أباك الملك . . .

الأميرة : مات ، تكلم !

مركاديه : أجل . لقد رويت قصتى .

بيرون : انصرفوا أيها الأبطال . إن المشهد قد بدء يتلبد بالغيوم .

أرمادو : أما أنا فقد انزاحت الغمة عن صدرى .
فقد رأيت بعين العقل يوماً مليئاً بالأخطاء ،
وسأقوّم نفسى كما يفعل الجندى العتيد .

(يخرج الأبطال)

فرديناند : كيف حال جلالتك ؟

الأميرة : أعد العدة يا بوييت ، فسأرحل الليلة .

فرديناند : لا ترحلى يا سيدتى . أضرع إليك أن تبقَى بيننا .

الأميرة . قلت أعد العدة يا بوييت . شكراً جزيلا يا سادتى الكرام
على كل ما بذلتم فى سبيلنا من مكرمات . وإنى لأستعطفكم ،
بما لكم من حكمة وافرة ، بنفس جدت عليها الأحزان
أن تتفضلوا فتطووا أو تغفروا ما كان بيننا
من إسراف فى الجدال واللجاج ،
إذا كنا قد تجاوزنا الحدود فى المناقشة .
فما شجعنا على ذلك إلا كرمكم وأدبكم .

وداعاً يا سيدى الكريم ! والقلب الحزين لا يتقن آداب
الحديث .
فعفواً جميلا إذا كنت قد قصرت فى شكركم
على استجابتكم السخية للأمر الخطير
الذى جئت من أجله .
فرديناند : إذا كان لابد من الوصول إلى قرار سريع
فإن الظروف المحيطة بالإنسان فى تلك الساعة
تضطره إلى إخضاع كل شىء لهذه الظروف ،
وهو فى سبيل هذا كثيراً ما يحسم ، عفو الساعة ،
أموراً قد لا يستطيع أن يحسمها بالتفكير الطويل .
وإذا كان حداد الأبناء على الآباء
لا يأذن للعاشق المتفائل أن يعلن ما فى قلبه الطاهر
من غرام ،
فإن حديث الهوى كان يجرى قبل حديث الأحزان ،
فلا ينبغى أن تحجب سحابة الهم
عن العاشق وطره .
وليس يجدى أن نندب الحبيب الفقيد
كما يجدى أن تطرب للحبيب الجديد .
الأميرة : لست أفهم مرادك . لأن حزنى مضاعف .

بيرون : لا ينفذ إلى القلب الكليم شيء كالكلام البسيط ؛
فافهمى مراد الملك من هذا الكلام الواضح الذى يعبر
عما فى فؤاده .

من أجلكن غفلنا عن الزمن
ومن أجلكن حنثنا باليمين .
فجمالكن يا سيداتى قد أفسدنا
وجعلنا ننقض كل ما قصدنا إليه .
فإذا كان قد بدا منا شيء يدعو إلى السخرية ،
فأنغام الحب أكثرها ناشزة ، والحب كالطفل اللعوب
يرقص دون عقل ويقفز دون سبب .
والحب يولد فى العين ،
فهو إذن كالعين تزخر بعجيب الأطياف
وتموج بشتى الأشكال والألوان ،
وتختلف فيها الصفات كلما تنقلت العين بين شتى
الأشياء .
وإذا كنا قد لبسنا رداء الحب المعربد
فبدا فى عيونكن الساحرة منكراً متنافر الألوان
لا يليق بوقارنا وبما تعاهدنا عليه ،
فسحر عيونكن التى تبصر كل هذه المعائب .

هو الذى فعل بنا كل ذلك .
وما دام الأمر كذلك يا سيداتى ، وما دام حبنا لكن
نابعاً منكن ،
فأخطاؤه راجعة إليكن كذلك .
ها نحن أولاء نخون أنفسنا إذ نخون العهد مرة واحدة
لنفى بعهدكن إلى أبد الآبدين ، يا سيداتى الفاتنات .
يا من علمتنا الخيانة والوفاء جميعاً ، وهذه الخيانة ،
وإن كانت فى ذاتها رذيلة ، تطهر نفسها من أجلكن ،
بل تصبح من أجلكن فضيلة فاضلة .
الأميرة : نعم ، لقد جاءتنا رسائل غرامكم .
ومعها هداياكم ، وهى رسل غرامكم .
وقد تبادلنا الرأى كما تفعل العذارى الشريفات
فوجدنا أنها فى باب الغرام لا تتجاوز أن تكون فكاهة
ظريفة ،
وفى آداب الفروسية لا تخرج عن أن تكون لغواً أجوف
نزجى به الوقت .
فلم نحفل بها أو نقدرها بأكثر من ذلك ،
ولهذا استقبلنا غرامكم بما قصد به أن يكون ،
أى موضوعاً للفكاهة .

دومان : ولكن رسائلنا يا سيدتى كان بها أكثر من الفكاهة .
لونجافيل : ونظراتنا أيضاً كان بها أكثر من الفكاهة .
روزالين : ولكننا لم نفهم منها هذا .
فرديناند : وفى هذه اللحظة الأخيرة ، امنحننا حبكن .
الأميرة : أعتقد أن هذه اللحظة لا تكفيننا
لندخل فى شركة أبدية .
كلا ، يا مولاى . كلا . إن جلالتك خوان للعهود ،
غارق فى الخطيئة العظيمة . لهذا أقول :
إذا كنت حقا تحبنى وتفعل من أجلى وحدى أى شى فى الوجود ،
فهذا ما آمرك أن تفعله :
لن أثق بقسمك ، فامضِ على جناح السرعة
إلى صومعة مهجورة جرداء
بعيدة عن كل ما فى العالم من ملذات ،
وأقم هناك حتى ينقضى العام
وتدخل الشمس فى أبراجها الاثنى عشر ،
فإذا كانت هذه العزلة القاسية
لا تغير من حبك الذى تعرضه علىّ الآن فى سورة الشهوة ،

وإذا لم يقتل صقيع الشتاء والصوم الطويل
وقسوة المسكن وخشونة الملبس أزهار غرامك هذه
ويطفئ ألوانها اليانعة
فيحتمل غرامك هذه المحنة ويخرج منها قويًّا نقيًّا ،
فلتعد إليّ عندما ينقضي الحول
عودة الفارس لنزالي، وليكن سلاحك الذي تتحداني به
هذه الفضائل التي اجتمعت لك .
وإني لأقسم بيدي هذه الطاهرة التي تصافح يدك الآن ،
أني سأكون ملكاً لك .

وإلى أن يأتي ذلك الحين
سوف أنزوي مع نفسي الحزينة في بيت الأحزان
وأسكب الدمع مدراراً ، حداداً على أبي الذي قضى .
فإن أبيت ذلك ، فليكن الوداع . ولتفترق يدانا فنفترق :
لا حق لك في طلبي ولا سلطان لي على فؤادك .

فرديناند : ألا فلتغمض عيني يد الموت المباغت
لو أنني أبيت أن أصدع بهذا الأمر أو بأكثر منه ،
مؤثراً عليه راحة العيش ونعيم الحياة .
انصرف إذن إلى صومعتك أيها الناسك فصدر حبيبي
صومعة لقلبي .

بيرون : وماذا تطلبين إلى يا حبيبتى ؟ ماذا تطلبين ؟

روزالين : لابد من تطهيرك حتى تبرأ من خطاياك .
فقد لوثك الحنث وأفسدتك الأخطاء .
فإذا أردت أن تنال رضاى ، حكمت عليك
بأن تشقى عاماً كاملا لا تذوق فيه طعم الراحة
ساعياً إلى جوار المرضى تخفف آلامهم .

دومان : وماذا تطلبين إلى يا حبيبتى ؟ ماذا تطلبين ؟ أتطلبين أن نتزوج ؟

كاترين : أطلب إليك ثلاثة : اللحية والعافية والشرف .
فحبى لك مضاعفاً ثلاثة أضعاف يجعلنى أطلب لك
هذه الثلاثة .

دومان : وافرحتاه ! أأقول شكراً يا زوجتى العزيزة ؟

كاترين : مهلا ، يا سيدى . سأقيم حولا ويوماً
لا أستمع فيهما لكلام معسول مما يقوله الخاطبون .
فتعال عندما يأتى الملك إلى مولاتى ،
فإن بقى لدى حب كثير فسأعطيك منه شيئاً .

دومان : وسأكون أنا خادمك الصادق الأمين حتى يأتى ذلك الحين .

كاترين : لا تقسم على شىء ، لئلا تحنث فى قسمك مرة أخرى .

لونجافيل : وماذا تقول ماريا ؟

ماريا : عندما ينقضى الحول
سأنزع عنى ثياب الحداد وألبس مكانها رداء حبك .

لونجافيل : سأصبر صبراً جميلا . ولكن هذا وقت طويل .

ماريا : وأنت أطول منه . أنا ما عرفت طوالا مثلك فى مثل حداثتك . والحدث يستطيع أن ينتظر .

بيرون : أتتحدثين عن الدرس يا سيدتى ؟ أنظرى إلى يا سيدة الفؤاد .
انظرى إلى عينى ، وهما النافذتان اللتان يطل منهما
كل ما يجيش فى قلبى ،
ترى فيهما عاشقاً مطيعاً يضع نفسه رهن إشارتك .
مرينى بشىء أقوم به لأثبت لك حبى .

روزالين لطالما سمعت بك يا سيدى بيرون قبل أن أراك ،
فالدنيا كلها تصفك
بأنك رجل ساخر لاحد لسخريته ،
وتقول إن خيالك ملىء بالتشبيهات ،
وإن فكاهتك لا تعفى أحداً ، وقع تحت رحمتك ،
علا قدره أو انخفض ، من الهزء الجارح المرير .

فإن أردت أن تستخرج هذه الدودة التى تأكل مخك الخصب ،
وتنال يدى ، ولن تنالها إلا إذا فعلت ما أشير به ،
فقد وجب عليك أن تقضى هذا العام بتمامه ،
اليوم بعد اليوم ، فى عيادة المرضى الذين فقدوا نعمة النطق ،
وتداوم على الحديث إلى البائسين المتوجعين ،
ولتكن هذه مهمتك ،
أن تستخدم كل ما حباك الله به من فكاهة ذكية
لترد الابتسام إلى شفاه هؤلاء العاجزين المعذبين .

بيرون : وكيف أستطيع أن أنتزع الضحك من فم الموت ؟
هذا لا يمكن أن يكون . هذا محال .
فالمرح لا يمكن أن يجد سبيله إلى النفس المعذبة .

روزالين : ولكن هذه هى الطريقة المثلى لتكبت نوازعك الساخرة
التى ينميها فيك اغتباط الحمق
بما يجود به عليهم السفهاء من ضحك رخيص .
فحياة الفكاهة ليست فى لسان قائلها ، بل فى أذن سامعها .
فإذا رضيت آذان المرضى

التى أصمها الأنين المرير وعويل الآلام
بأن تستمع إلى هزلك السخيف ،
فامض إذن فيما أنت فيه
وسأرضى أنا بك على علتك .
وإذا نبذوك فانبذ أنت روحك الساخرة ،
ولشد ما يفرحنى أن ألقاك وقد صلحت حالك
وبرئت من هذا العيب .

بيرون : اثنا عشر شهراً كاملة ! فليكن ما يكون ،
سأمزح اثنى عشر شهراً فى مستشفى ، وليكن ما يكون .

الأميرة : (مخاطبة الملك) اتفقنا إذن يا مولاى الكريم . فاسمح
لى بالرحيل .

فرديناند : كلا ياسيدتى . سنرافقكم فى الطريق .

بيرون : إن غرامنا لا ينتهى كما ينتهى الغرام فى القصص المألوفة .
لن نقول إننا عشنا فى تبات ونبات .
ولو شاءت هؤلاء السيدات لجعلن من عيشنا مسلاة
فكاهية .

فرديناند : هيا بنا يا سيدى . فلننتظر سنة ويوماً ، ثم نصل إلى
النهاية .

بيرون : هذا أطول مما تتطلبه المسرحية .
(يدخل ارمادو)

ارمادو : يا جلالة الملكة الكريمة : تنازلى و . . .

الأميرة : ألم يكن هذا هكتور ؟

دومان : نعم فارس طروادة المغوار .

ارمادو : دعينى أقبل أنا ملك الملكية ثم أستأذن فى الانصراف .
أنا راهب فى محراب الغرام . لقد عاهدت جاكنيتا
أن أمسك بالمحراث مدى ثلاث سنوات لأثبت لها حبى .
ولكن أتحبين يا مليكتى المعظمة أن تستمعى إلى الحوار
الذى وضعه السيدان العالمان فى مدح البومة والوقوق ؟
لقد كان من المقرر أن يأتى هذا الحوار
فى نهاية المشهد الذى مثلناه .

فرديناند : ناد الرجال بسرعة . سنستمع إلى الحوار .

ارمادو : هيا ، تعالوا .

(يعود هولوفرنيز وناثانيل ومث وكستارد وآخرون)

هذا الجانب هو الشتاء ، وهذا الجانب هو الربيع .
والأول تمثله البومة ، والثانى يمثله الوقوق .
هيا ابدأ يا ربيع .

الأغنية

الربيع : عندما تنتشر فى المروج
الأقاحى المتعددة الألوان
والبنفسج الأزرق والسوسن الأبيض الفضى
وبراعم الزنبق الأصفر ،
فتصبغ المروج بأبهج الألوان ،
يهزأ الوقوق على كل شجرة
من الأزواج مزقزقاً :
وقوق ، قرون ، وقوق ، قرون ،
فيالها من كلمة رهيبة بغيضة إلى مسامع المتزوجين .
وعندما ينفخ الرعاة فى الأرغول ،
وتصدح القبرة الطروب ، وهى ساعة الفلاح ،
معلنة تباشير الفجر ليخرج الفلاح
إلى محراثه ، وعندما تخطر الحمائم
وتصبغ الشمس رياش العقعق والغراب الأسحم
وثياب العذارى بضياء الصيف الساطع ،
يهزأ الوقوق على كل شجرة من الأزواج مزقزقاً :

وقوق ، قرون ، وقوق ، قرون .
فيالها من كلمة رهيبة بغيضة إلى مسامع المتزوجين .
الشتاء : عندما تتجمد قطرات الماء فتصبح عموداً
من جليد معلقاً على الجدار ،
وينتظر الفتى صابراً لا يجد ما يعمله ،
ويحمله أخوه الخشب إلى المدفأة فى صحن الدار ،
وعندما يجمد اللبن فى الوعاء ،
ويجمد الدم فى العروق ، وتمتلئ الطرقات بالأوحال ،
تغنى البومة الشاخصة كل ليلة قائلة :
تعال ! تعال ! أغنية مرحة تغنيها البومة
فى حين تبرد الزوجة الحقيرة وعاءها الملتهب .
وعند ما تعصف الرياح بصوت قوى ،
وتغرق ترانيم القس فى سعال المصلين ،
وتجثم الطيور على الثلوج ،
وعندما يبدو أنف الزوجة أحمر كاللحم النيئ ،
ويئز سرطان البحر المشوى فى المقلاة
تغنى البومة الشاخصة كل ليلة قائلة :
تعال ! تعال ! أغنية مرحة تغنيها البومة

في حين تبرد الزوجة الحقيرة وعاءها الملتهب .

أرمادو : ألا ترون معى أن كلام عطارد ، رب الشتاء ، ثقيل على السمع بعد غناء أبولو ، إله الربيع ؟

(يخرجون)

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٨٤٨٦
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4222-5

١ / ٩١ / ٤٣٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معًا، فقد جمع شكسبير بين حس درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صورًا فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..

ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.


Ali Alik